الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف– المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل ط1: 1535104466

رقم التسجيل ط2: 1535104760

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص:

أدب جزائري

بعنوان

جماليات اللامألوف في رواية "قلب الإسباني"

لجميلة طلباوي

إعداد الطالبتين:

ط1- أسماء بليح

ط2- فاطمة الزهراء منصور

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

د. هشام ميداغين	أستاذ محاضرأ	جامعة المسيلة	رئيسا
د. عبد القادر العربي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. لخضر ديلمي	أستاذ محاضرأ	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية :1440-1441هـ/ 2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

نحمد الله عز وجل الذي وفقنا وأمدنا بالصحة والعافية لاتمام هذا البحث العلمي، فالحمد لله كثيرا.

أما بعد نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الدكتور "عبد القادر العربي" على ما قدمه لنا من توجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع دراستنا في جوانبها المختلفة، نسأل الله له التوفيق وسداد الخطى أينما حل.

كذلك الشكر الخاص للدكتور "هشام ميداغين" والدكتورة "نصري هاجر" وكذلك "فاطمة الزهراء العايز" على مساعدتهم لنا في إنجاز هذا البحث العلمي.

والى كافة أساتذة كلية الأدب على ما قدموه لنا من معلومات طيلة فترة تكويننا.

كما أشكر كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

بليح ومنصور

مقدمة

إذا تحدثنا عن تجلي هذه الثنائية (الأنا والآخر) فنجدها مصطفة في العديد من الروايات الجزائرية نذكر من بينهم رواية "اللاز" للطاهر وطار ورواية "ابن الفقير" لمولود فرعون والكثير من هذه الروايات تجسد معاناة الأنا الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي (الآخر)، فحاولنا رصد قضايا ومشاكل أهم وهي الصراعات اليومية التي يخوضها الشعب الجزائري من أجل ضمان البقاء والاستمرار.

أما رواية "قلب إسباني" للروائية الجزائرية "جميلة طلباوي" جسدت مشاهدة الثنائية (الأنا/الآخر) من وجهة نظر مختلفة بمقتضى التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فحاولنا التركيز على العوامل التي تبني الهوية الثقافية ومدى تأثير الآخر في بناء علاقة متوازنة بينهما.

ولهذا جاء بحثنا موسوما "بالتثاقف في حوار الأنا والآخر" في رواية "قلب الإسباني" لجميلة طلباوي، و لإنجاز هذا البحث استعنا واخترنا مجموعة من المراجع من بينها كتاب النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية لعبد الله الغذامي، والهوية والاختلاف في الرواية الحضارية العربية لمكي سعد الله، وإشكالية الأنا والآخر " نماذج روائية عربية " لماجدة حمود ، ونحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة لنجم عبد الله كاظم ، وصورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية لعبد الله أبو هند ، والأنا والآخر لعمرو عبد العالي علام ، والمثاقفة وسؤال الهوية لصلاح السروري ، ومساءلة المثاقفة لخليل السعدني ، والمثاقفة وحوار الثقافات لإحسان هندي ، والمثاقفة والمثاقفة المعكوسة في الاستشراق لعبد الله أبو هيف ، ومن التثاقف إلى عمليات المثاقفة لأحمد رياض ، ومشكلة الثقافة لمالك بن نبي .

واعتمدنا على خطة بحثية هندستها كالتالي مقدمة ثم فصل نظري معنونا بالبنية الثقافية في الرواية يندرج تحته مفاهيم لبعض المصطلحات: التثاقف: أشكاله،

حالاته، أنواعه، قنواته، آلياته، –الأنا والآخر والعلاقة بينهما، –الحوار والهوية: (التأثير والتأثر).

يعقبه فصل تطبيقي بينا فيه التفاعل الثقافي في حوار الأنا والآخر في رواية "قلب الإسباني" وأزمة الهوية والبحث عن الذات في خضم التحولات الراهنة.

وفي خاتمة مذكرتنا توصلنا إلى مجموعة من الثمار الاستنتاجية من عملنا البحثي حصدنا فيها أهم النتائج المتحصل عليها من خلال سياحتنا الفكرية هذا في هذه المدونة الماتعة .

ومن الصعوبات التي واجهتنا قلة الدراسات في موضوع بحثنا وقلة المراجع المتخصصة باللغة العربية في فكرة التثاقف ، لكن رغم ذلك توكلنا على الله ولم نتهيب من صعوبة الموضوع وطراوته وغامرنا في المجهول لنكتشف المعلوم وقد اخترنا المنهج التحليلي لملاءمته لموضوع دراستنا .

وفي الأخير نتقدم بالشكر للأستاذ المشرف الدكتور عبد القادر العربي ولجنة المناقشة التي تجشمت قراءة هذه المذكرة وستصوب هناتها فلها منا جزيل الشكر والعرفان .

الفصل الأول:

التثاقف وحوار الأنا مع الآخر (المفاهيم والخلفيات)

أولا: الثقافة والتثاقف

1- الثقافة

لغة

اصطلاحا

2- التثاقف

أ: 2-1: لغة

2-2: اصطلاحا

ب: التثاقف الأشكال والحالات والأنواع

أولا: أشكال التثاقف

ثانيا: حالات التثاقف

ثالثا: أنواع التثاقف

ج: التثاقف القنوات والآليات

أولا: قنوات التثاقف

ثانيا: آليات التثاقف

ثانيا: الأنا والآخر

الأنا

لغة

اصطلاحا

أنواع الأنا

لآخر

لغة

اصطلاحا

مواقف الأنا اتجاه الآخر

ثالثا: الحوار والهوية

مفهوم الحوار

مفهوم الهوية

علاقة الهوية بالآخر

تعد النصوص السردية العربية نصوصا ثقافية منفتحة على آليات متعددة منها السياسي والمعرفي والديني والجمالي والمهمش، فنجد النص السردي المعاصر في الجزائر يطرح مجموعة من الأسئلة الجديدة المنفتحة على التاريخ والسياسة وخطابات الهوية والاختلاف والغيرّية والتثاقف وهاته الأخيرة من الموضوعات الأكثر شيوعا وارتباطا بالراهن الجزائري والعربي والعالمي على حد سواء، ومن خلال كل هذا قبل أن نتكلم عن التثاقف يجب أن نتطرق إلى مفهوم الثقافة ذلك لأننا نعيش في عصر المصطلحات وتداخل المفاهيم.

أولا: الثقافة والتثاقف

1-الثقافة

1.1. في اللغة: إن مصطلح الثقافة في المعاجم اللغوية تنوع وكثر فقد كان لمعجم العين إحاطة واسعة في التوسع لشرح هذا المصطلح إذ جاء فيه، جذر اللفظ في اللغة العربية هو: ثَقِفَ، يثقَف، ثقفاً، من باب فرِح؛ ويعني صار حاذقا فطنا، وثَقِف التعلم والصناعة: أجاد فهمها، وثَقِف الرجل في الحرب أدركه، وظفر به، ففي القرآن الكريم يقول عز من قائل﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ [1] وقوله تعالى أيضا: ﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[2].

ويأتي الفعل –أيضا– من باب كَرُم، فيقال: ثَقُفَ الرجل: صار حاذقا في علم أو صناعة ومصدره "ثقافة" وثاقفه وثقافا خاصمه وجالده بالسلاح إظهارا للمهارة.

والحذق. وثقّف الشيء أقام المعوج فيه وسواه، وثقِّف الإنسان: أدبه وهذبه وعلمه و"الثقافة" لفظة محدثة؛ بمعنى إنها كلمة استعملها المحدثون في العصر الحديث، وشاع

[1] - البقرة، الآية191.

[2] - الممتحنة، الآية2.

استعمالها في لغة الحياة العامة، وذكر في المعجم الوسيط " أنها تعني العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق فيها"[1].

1-2-في الاصطلاح:

الثقافة: يعتبر مفهوم الثقافة من المفاهيم الأكثر تعقيدا، وهذا ما أدى إلى اختلاف تعريفاتها حتى عند العلماء ومن أهمهم (مالك بن نبي) الذي يعرفها: "بأنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي إذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته[2].

إذا حاولنا –يقول بن نبي– أن نحدد الثقافة بمعناها التربوي " وجب أن نوضح هدفها وما تتطلبه من وسائل التطبيق...فأما الهدف فيتضح من كون الثقافة تتدخل في شؤون الفرد وفي بناء المجتمع: وتعالج مشكلة القيادة فيه كما تعالج مشكلة الجماهير...أي أنها تحمل أفكار العامة " [3].

والثقافة: "نظام متراتب مكون من نظم دالة مختلفة، ومتداخلة يتحقق ارتباطها من خلال علاقتها بنظام اللغة الطبيعية أساسا" [4].

ومفهوم الثقافة عند "الغذامي" يأخذه من مقولة (قيرتز Geertz) في أن الثقافة ليست مجد خدمة من أنماط السلوك المحسوسة كما هو التصور العام لها، كما أنها

[1] - أبو الفصل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، "لسان العرب"، دار صادر، ج3، 2003، مادة ثقف .

[2] - مالك بن نبي: مشكلة الثقافة " فضل الحرفية في الثقافة" ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر، ط4، 2000 ، ص76-77.

[3] - المرجع السابق ، ص78.

[4] - عماد خطيب، مدونة فن النقد لتدريب طلبة الدكتوراه، محاضرات النقد الثقافي الأسبوع الثامن 2015.

ليست العادات والتقاليد والأعراف، ولكن الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي الذي يتبناه "قيرتز" هي آليات الهيمنة، من خطوط وقوانين وتعليمات ومهمتها هي التحكم في السلوك" [1].

كما عرف (تايلور) الثقافة في كتابه (الثقافة البدائية) على أنها: " ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع"[2].

ولعل من أبسط تعريفات الثقافة أكثرها وضوحا تعريف أحد علماء الاجتماع المحدثين (روبرت بيرستد)(R.Berstedt)، الذي ظهر في أوائل الستينيات، حين يعرفها بقوله: " أن الثقافة هي ذلك المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو تقوم بعمله، أو نتملكه كأعضاء في مجتمع" [3].

وخلاصة القول أن الثقافة عبارة عن مجموعة الأنماط السلوكية من الناس تؤثر في سلوك الفرد الموجودة في تلك المجموعة وتشكل شخصيته وتتحكم في خبراته وقراراته ضمن تلك المجموعة من الناس التي يعيش بينها.

2- التثاقف:

التثاقف أو المثاقفة اصطلاح عرفه العرب وأطلقوه على المصارحة في العلم والأدب ومذاكرتهما، وهذه لم تكن سوى صورة أولية "للمثاقفة" التي ستتعقد من خلال الانفتاح على تراث العالم الخارجي وعلومه وأفكاره ونظرياته.

أ- **2-1-لغة:** وقد جاء التثاقف لغة في أنه:

---

[1] - عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2005.

[2] - نظرية الثقافة: مجموعة من المؤلفين، تر: د.علي سيد الصاوي، مر: أ.د. الفاروق زكي يونس، سلسلة عالم المعرفة، ع223، 1997، ص9.

[3] - نظرية الثقافة، المرجع نفسه، ص9.

اندرج مصطلح التثاقف في اللغة تحت مادة (ثقف) والتي جاءت على ذكرها المعاجم من بينها تاج العروس: ثقف، ثقفا وثقافة صار حاذقا خفيفا وفطنا وثقفه تثقيفا سواه، وهي تعني تثقيف الرمح أي تسويته وتقويمه"[1].

أما لسان العرب فقد ذكر ابن منظور مادة (ثقف) بمعنى "الغلام الثقف، أي ذو فطنة وذكاء، وهو الثابت المعرفة بما يحتاج إليه"[2].

وإن المتأمل لكلا التعريفين يجدهما يتفقان على معنى واحد وهو الرجاجة والتسوية ويفترقان في كون ابن منظور كان أكثر دقة عندما ربطها بالإنسان في حين ركز الزبيدي على تسوية الأنباء.

2-2اصطلاحا:

إن مصطلح التثاقف في معناه الخاص هو أقلمة فرد أو تأقلمه مع ثقافة أجنبية متصل بها، وهو في معناه الواسع صيغة تصف جميع الظواهر والعمليات التي تصاحب اللقاء بين ثقافتين مختلفتين ظهر أول مرة في علم الأنثربولوجيا واقتصر مفهومه على التعامل الاجتماعي بين الأفراد ، ليتحول تدريجيا ويأخذ قالبا أوسعا عن الاتصالات المطولة المباشرة بين ثقافتين مختلفتين مع تحويل أو تعديل مع الأنماط السائدة لمجتمع معين"[3].

وهناك تعريف آخر للتثاقف:* إذا سلمنا بأنه ليس هناك ثقافة واحدة نموذجية، وبأن مشكلة التثاقف من المشكلات التي أثيرت في فترة الاستعمار فينبغي أن نعلم بأن عملية التثاقف هي:

- العلاقة التي تجمع بين ثقافة الأنا وثقافة الأنا الذي ليس أنا.

---

[1] - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار المعلمين، القاهرة، مصر، 1994، ص51، مادة ثقف

[2] - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، بيروت لبنان، 1999، ص1119. مادة ثقف

[3] - أحمد رياض، من التثاقف إلى عمليات المثاقفة، مجلة آفاق، 1ديسمبر 2017، ص121.

* الراجحي عبد الرحيم، مسألة التثاقف، صفحة1، الفهرس41-50. https://www.aljabriabed.ent

- إنها العلاقة التي تجمع بين ثقافة السيد وثقافة العبد.
- إنها العلاقة التي تجمع بين ثقافة البرجوازي المستغل وثقافة البروليتاري المستغل.
- إنها العلاقة التي تجمع بين ثقافة الإنسان الغربي المستعمر وثقافة الإنسان العربي المستعمَر.

إذن مما تقدم يبين بجلاء بأن عملية التثاقف علاقة تكشف عن اللا تكافؤ الواضح بين ثقافة الإنسان العربي الذي أُشغل وأُستعمر ولا زال، وثقافة الإنسان الغربي المُستعمر القوي السيد الذي يراهن اليوم على فكرة العولمة "كأسلوب جديد للاستعمار" وقد أصبحت ثقافة الإنسان الغربي ثقافة قوية مهيمنة بحكم قوته الاقتصادية والتقنية والعسكرية، وهذا ما تجسد مع الغزو الاستعماري لكل بلدان العالم الثالث في مطلع القرن 19، بما في ذلك العالم العربي، وابتداء من هذه اللحظة بالذات فكر الإنسان الغربي المستعمر القوي السيد في مسألة تنميط وتكييف ثقافة الإنسان العربي المغلوب والضعيف، على ثقافته تحت فكرة التثاقف وهذا ما يوضحه الأنثربولوجي "جيرار لكلرك" في مؤلفه "الأنثروبولوجيا والاستعمار" قائلا يمكن استعمال التثاقف .

للإشارة إلى الأنماط التي يتم بموجبها قبول مظهر ثقافي معين في ثقافة أخرى بحيث يتلاءم ويتكيف معها مما يفترض مساواة ثقافية بين الثقافة التي تعطي وتلك التي تتقبل ، والتكيف وهو السيرورة التي تتحول بموجبها عناصر الثقافة المستعمرة والمسيطرة عليها لتتلاءم مع شكل الثقافة المسيطرة.

هناك عدة تعاريف كثيرة لمصطلح التثاقف، متشابهة أحيانا ومختلفة في سياقات كثيرة ، إذ نميز اتجاهات في تعريف المصطلح.

الاتجاه الأول: هو الاتجاه الذي ينظر إلى المفهوم كونه ظاهرة سلبية تؤثر في الثقافات الضعيفة، إذ عرف قاموس المورد (إنجليزي–عربي) مفهوم التثاقف (Acculturation) بأنه: " تبادل ثقافي بين شعوب مختلفة وخاصة تلك التعديلات التي تطرأ على ثقافة بدائية نتيجة لاحتكاكها بمجتمع أكثر تقدما"، فالأصل الأنثروبولوجي

للمصطلح يقوم على فكرة الاحتكاك والتفاعل بحسبانه قاطرة التقدم، وإن كان التقدم هنا يتم عبر مثير خارجي يمثله المجتمع " الأكثر تقدما".

وفي تعريف آخر فالمثاقفة تفيد تأثير ثقافة قوية أو مستقوية وغازية وقاهرة على ثقافة ضعيفة أو مستضعفة ومغزوة ومقهورة وهي حال الثقافة الغربية الاستعمارية في بلدان الشمال على الثقافات القومية والوطنية والمحلية في بلدان الجنوب[1].

وفي تعريف ثالث يرى المثاقفة تلك العملية التي تسمح للفرد داخل أو ما بين الجماعات بتسيير التفاوت الثقافي التي قد يواجهها في حالة تلاقي الثقافات، إذ يعتبر المهاجرون أكثر الناس عرضة لهذه الظاهرة، أما المثاقفة عن طه حسين فتعني الأخذ والاقتباس من الحضارة المتفوقة فهي تنحصر في الاتصال المتبين بالحضارة الأوربية في مجالات الحياة [2].

الاتجاه الثاني: نظر أنصاره إلى المصطلح نظرة إيجابية بحسبانه محركا لتقدم الحضارة الإنسانية بمختلف ثقافاتها، ولعل تعريف موسوعة ويكيبيديا يقربنا كثيرا من المعنى المقصود للمثاقفة، إذ هي اكتساب ثقافة مغايرة للثقافة الأصلية للفرد أو الجماعة وهي هنا تشير إلى الثقافة الأجنبية التي يضيفها الفرد أو الجماعة للثقافة الأصلية وذلك من وجهة نظر مستقبل تلك الثقافة، إذ تضاف الثقافة الجديدة إلى ثقافة الفرد أو الجماعة المكتسبة منذ الميلاد، وهناك من يربط التثاقف بحوار الثقافات ويجعله رافدا مهما تسعى كل أمة من خلاله إلى معرفة الآخر واستثمار ما لديه من قيم ومعطيات إنسانية وحضارية ، والى تنمية كيانها الثقافي بشكل خلاق وغير مضر بمقومات الهوية القومية وثوابتها، وزمن هذا المنطلق يعد حوار الثقافات أي المثاقفة ضرورة حيوية لمختلف الشعوب والحضارات، وهذا ما يتأكد حين ننظر إلى مسار الحضارة العربية الإسلامية.

---

[1] - عبد الله أبوهيف: المثاقفة والمثاقفة المعكوسة في الاستشراق تأثير الثقافة العربية الإسلامية انموذجا
http:lloence-islam.net/article.ph. p32 ? id-article=6208long=ar

[2] - محمد باسل سليمان: المثاقفة تفاعلات واستعابات مقالة منشورة
موقع0=www.ahewar.ongis.asp?ard=132513sr

إذ أنها لم تبلغ أوج ازدهارها إلا عندما نجحت في التفاعل والتثاقف مع بقية الحضارات التي انفتحت عليها، وقد أكد القرآن الكريم أهمية التعارف بين مخلف الشعوب في قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

وهذا التعريف يعني أن التثاقف (المثاقفة) هو تأثر الثقافات بعضها ببعض نتيجة الاتصال بين الشعوب والمجتمعات، مهما كانت طبيعة هذا الاتصال وأهدافه، وإن كانت معظم دراسات الاتصال الثقافي ركزت بالدرجة الأولى على نوع معين من عمليات التغيير على الثقافة، لأن شخصية الفرد تنمو وتتطور من جوانبها المختلفة داخل الاطار الثقافي الذي نشأ فيه وتعيش وتتفاعل معه"[2].

ب- التثاقف الأشكال /الحالات/الأنواع:

أولا: أشكال المثاقفة: إن المثاقفة هي العملية التي يكسب الفرد أو الجماعة من طريقها خصائص ثقافية أخرى وبما أن العالم اليوم أصبح مجرد قرية صغيرة وفي ظل التقدم الذي نشهده أدى هذا إلى عملية الاتصال والتي من خلالها تزداد العلاقات بين المجتمعات في زمن الحاضر عكس ما كانت عليه قديما وتختلف هذه العلاقات باختلاف نوعية مستخدميها (بيع/شراء) أو سياسة (تحالف، دفاع مشترك) كل هذا ينتهي بعلاقات ثقافية وهذا ما نسميه بعملية المثاقفة.

فالمثاقفة إذن ما هي إلا تبادل شعب ما جانبا من ثقافة شعب آخر يكون هذا عن طريق إرادة مسبقة أو بصورة تلقائية طوعية ليضيفه إلى ثقافته الوطنية الخاصة به.

وللمثاقفة دور كبير في حوار الحضارات مما يؤدي هذا إلى تقارب مجتمعين وتوطيد العلاقات بينهم السلم والتعاون بدل أن يكون هناك صراع حربي عقائدي وزمن كل هذا نرى أن لعملية المثاقفة أشكال أهمها:

---

[1] - سورة الحجرات، الآية13.

[2] - عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) دمشق، اتحاد كتاب العرب، 2004، ص109.

أ- اعتناق أفراد مجتمع ما ديانة أفراد مجتمع آخر كما حدث بالنسبة لبعض الشعوب الإفريقية التي اعتنقت الديانة الإسلامية نتيجة للعلاقات التجارية التي نشأت بينها وبين البلدان الإسلامية المغاربية ، أو نتيجة للفتوحات الجغرافية والاستعمارية كما حدث في بلدان إفريقيا الجنوبية البريطانية.

ب- تبني أحد البلدان للنظام القانوني والقضائي السائد في بلد آخر والمثال على ذلك تبني الجمهورية التركية الحديثة للقانون المدني السويسري قانونا مدنيا لها بدلا من الشريعة الإسلامية ، وتبني الجمهورية السورية عام 1949 للقانون المدني المصري لعام 1948 بمثابة قانون مدني لها، ولقضاء الجزاء اللبناني أساسا لقانون عقوبتها العام وقانون عقوباتها العسكرية.

ج- قد يتبنى مجتمعا ما بصورة تلقائية جانبا من الأدب الرسمي الفصيح الذي أنتجه المجتمع في بلد آخر، وهكذا انتقلت ملحمتا الإلياذة والأوديسا في المجتمع اليوناني القديم إلى مجتمعات البلدان الأخرى، وكذلك فعلت المسرحية (روميو وجوليت) الإنجليزية ورواية (البؤساء) الفرنسية وفاوست الألمانية وألف ليلة وليلة العربية.

د- ما قيل عن الآداب الرسمية يقال عن الآداب الشعبية أيضا، حيث نجد بعض الأمثال الشعبية متماثلة في اللفظ والمعنى في عشرة بلدان متجاورة أو متباعدة أحيانا"[1].

ثانيا: حالات التثاقف (المثاقفة)

قام (باستيد)(Bastide) تعريفا لحالات متنوعة للمثاقفة نستخلص منها، الحالة الاستعمارية ومن المهم أخذ حالات المثاقفة على مستويين المنهج ومستوى المفهوم الذي تكون في أذهاننا حول "المثاقفة" بوصفها ظاهرة عامة التي تحددها الحالة التي ندرس فيها، وللتحليل يجب أن ننظر إلى المجموعة المعطية والى الأخرى المتلقية ليساعدنا في

[1] - إحسان هندي، المثاقفة وحوار الثقافات، يومية الثورة السياسية مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا،عدد2009/01/28.

كشف أنه لا توجد ثقافة معطية فقط ولا ثقافة متلقية فقط بشكل دائم، وبعبارة أخرى بأن المثاقفة لا تكون أحادية الاتجاه ولهذا اقترح "باستيد مصطلح "التداخل الثقافي المتبادل" أو تقاطع الثقافات بدلا من مصطلح المثاقفة، وبالتالي يضع "باستيد" الذي لا يشير بشكل واضح إلى تبادلية هذا التأثير ولهذا وضع ثلاث معايير لتحديد حالات المثاقفة الممكنة[1]. الأول عام والثاني ثقافي والثالث اجتماعي.

المعيار الأول: هو وجود أو غياب السيطرة(Manipulation) على الواقع الثقافي والاجتماعي، وهي تنشأ ثلاث حالات نمطية للمثاقفة.

أ- **حالة المثاقفة عفوية وطبيعية وحرة:** ولا تكون حالة المثاقفة في الواقع كما تكون موجهة ولا مضبوطة ويعود سبب التغيير في هذه الحالة إلى مجرد الاحتكاك ويتم بالنسبة لكل من الثقافتين المعنيتين وفق منطقها الداخلي الخاص بها.

ب- **حالة مثاقفة منظمة:** لكنها قسرية وتخدم مصلحة جماعة واحدة فقط كما العبودية والاحتلال، وهنا تكون الإرادة أداة تغيير لثقافة المجموعة الخاضعة للمدى القصير، بغية إخضاعها لمصالح المجموعة المسيطرة، وتبقى "المثاقفة" جزئية .

ج- **حالة مثاقفة مخططة ومضبوطة:** هدفها أن تكون منظمة إلى المدى البعيد ويتم التخطيط انطلاقا من معرفة مفترضة بالحتميات الاجتماعية والثقافية، ويمكن للمثاقفة المخططة أن تنشأ بناء على طلب مجموعة تنتمي لرؤية التطوير وشكل حياتها لتشجيع تطورها الاقتصادي مثلا.

المعيار الثاني: ذو الطابع الثقافي وهو معيار نسبية التجانس و التنافر بين الثقافات المتواجهة.

[1] - دوني كوتش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: قاسم المقداد، دار الكتاب العربي، الأردن ، 2003، ص73.

المعيار الثالث: وهو معيار نسبة انفتاح وانغلاق المجتمعات المتماسكة، وتكون هذه المجتمعات في نظر "باستيد" دائما أقل عرضة للمؤثرات الثقافية الخارجية كلما كانت ذات طابع اجتماعي قليل أي ذات تمايز اجتماعي وأنها تتسم بالفردية والتنوع"[1].

ثالثا: أنواع المثاقفة: يقوم هذا المبحث وفق قواعد المدرستين الانتشارية* والوظيفة في التاريخ على الاعتقاد بأنه يجب ألا تفهم الثقافة على أنها أشياء مجردة، بل على أنها عناصر تجسدها وتحملها مجموعات بشرية عدة، وتتمثل في جميع مظاهر التعبير الإنساني سواء تعلق الأمر بالأدب أو الفنون أو المعتقدات و الأخلاق، أو تعلق باللباس والسكن والأكل" [2].

واعتمادا على هذا الفهم تتحدث أنواع "المثاقفة" وأنماط كل نوع منها، وقد اختزلها المؤرخون في نوعين واضحين من "المثاقفة" إضافة إلى ما يمكن اعتباره أنواعا أخرى ولكن لا زال يشوبها الالتباس ويتم ذلك عبر آليات متعددة منها الثقافي وعلى هذا الأساس تم تقسيم المثاقفة إلى نوعين:

أولا: المثاقفة التلقائية: وتتدرج في اطار التلاقحات الناتجة عن الحروب الناجمة عن الرغبة في الحصول على العبيد أو الاتصالات السلمية بواسطة التجارة كما هو الشأن بكندا والشمال الحالي للولايات المتحدة الأمريكية"[3].

ويقصد بها تلك "المثاقفة" التي تدفع باتجاهها أسئلة اللحظة الاجتماعية/التاريخية المحددة التي تعيشها الجماعة البشرية، عارضة حاجتها الثقافية الفعلية بما يحدد طبيعة

---

[1] - دوني كوتش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ص74.

* المدرسة الانتشارية(diffusionnisme)تعتمد الأصل المركزي الواحد للثقافة سادت في انجلترا، وأرجعت نشأة الحضارة الإنسانية كلها إلى مصدر واح ومنه انتشرت إلى المجتمعات الانسانية الأخرى.

[2] - خليل السعداني: مساءلة الثقافة. www.aljabriabed.net

تفاعلها الثقافي مع الآخر، وهي تعتبر "المثاقفة" الأصل وينقسم هذا النوع من المثاقفة عبر المستويات التالية[1].

1-**مستوى التمثل:** ويعني إذابة المنتج الثقافي الأجنبي وإدخاله ضمن النسيج الثقافي الوطني، حيث يتم طرح الوشائح والروابط المتكاملة الكفيلة باستيعابه بصورة كاملة، بحيث لا يمكن تمييزه باعتباره عنصرا وافدا، ومجال ذلك ما حدث للرواية والمسرحية في مصر والعالم العربي، باعتبارهما نوعين أدبين وافدين بصورة كلية على الثقافة العربية وكذلك ما حدث للرومانسية والواقعية السحرية باعتبارها هي روافد وافدة بذات القدر على هذه الثقافة.

2-**مستوى التكيف:** يقصد به التعايش والتجاور في إطار من عدم الرفض الذي لا يعني قبولا تاما، ويتجلى ذلك في موقف الثقافة العربية في الاتجاهات الذائعة الصيت على الصعيد العالمي ولكنها لا تعبر عن الواقع الاجتماعي الثقافي الوطني ولا تنطلق من حاجاته الثقافية وإن كانت لا تناهض مستقراته ولا تناقض مع مسلماته.

3-**مستوى التحصن** والرفض: والمقصود به عدم التلاؤم على أي نحو مع العناصر الوافدة، بل تجنبها وتجاهلها وحاصرها في نقطة منعزلة، ومن المفيد التأكد على أن هذه المستويات يمكن أن تمارس إحداها من قبل شخص معين أو من قبل مؤسسة، أو تمارس كلها من قبل قطاعات مختلفة داخل الجماعة الثقافية، وهناك نوع آخر من "المثاقفة" يعد أكثر اتساعا وقابلية للاستمرارية والتواصل من عصر لعصر وهذا النوع هو:

ثانيا: المثاقفة القسرية: تأتي هذه المثاقفة عن طريق الإكراه بعد السيطرة شعب أو أمة على أخرى بواسطة القوة في الحرب فظلت ملامح هذا النوع من " المثاقفة " في منطقتنا العربية القديمة تعلو في العقود الخمسة الأولى قبل الإسلام، وأخذت في بعض الأحيان

[1] - صلاح السروري، المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمة في نظرية الأدب المقارن، 2009.
أنظر: http//www.diwanalarab.com/spip.php?article1955

شكل الإكراه الديني عندما يعتنق الحاكم ديانة فيجر تحت حكمه من مختلف الأعراق والإثنيات على اتباع تلك الديانة والإيمان بها ، وأخذت المثاقفة الاستقرائية والميدانية باستدلال المؤرخين والأنثربولوجيين أن تأخذ لها أنماطا متعددة ومتفاوتة ويذكر المؤرخ "ناثان واشيل" "Nathan wachtel" أن أحد أبرز الأنماط التي تكون عليها أنواع "المثاقفة" مايلي :

1-**نمط الدمج:** الذي يقوم على اقتباس الثقافة المحلية لعناصر من ثقافة أجنبية وعوامل مثاقفة مساعدة على التثاقف دون أن يؤدي ذلك الاقتباس إلى تغيير كبير في قيم الثقافة المحلية أو يؤدي إلى انهيارها، والتغيير المقصود هنا وبدقة ذلك الذي لا ينزع من "الثقافة المثاقفة" عناصر كينونتها الأساسية، بحيث نستطيع العودة إلى نمطيتها الأصلية عندما تقتضي معطيات الواقع ضرورة هذه العودة.

2-**نمط التمثيل:** ونعني به أن تتسرب ثقافة الهنود مثلا لعناصر الثقافة الغربية يوازيه القضاء على التقاليد المحلية والانقياد للمجتمع المسيطر"[1].

ج- المثاقفة القنوات والآليات:

أولا: قنوات المثاقفة: تعرف الحضارة على أنها أسمى العلائق الإنسانية المتثاقفة بالعدالة والمبادئ الأخلاقية والثقافية والجمالية ، وهكذا تكون الحضارة هي الجهد الذي يبذله مجتمع من المجتمعات في خدمة المجتمع البشري في جميع نواحي الحياة المادية والمعنوية.

وتمثل الثقافة الجانب المعنوي للحضارة ذلك أنها تمثل القيم الثابتة والمبادئ الراسخة ، التي تقوم عليها الحضارة وهدا يعني أن الجوانب الروحية والأخلاقية للحضارة مأخوذة ومكتسبة من الثقافة، فتكون الحضارة أوسع من الثقافة"[2].

[1] - خليل السعداني، مساءلة مفهوم الثقافة. ص 67 .

[2] - خليل عماد الدين ، مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، كولالمبور، ماليزيا، 2001، ص287.

فكانت الثقافات فيما سبق تتوسع وتتمدد خارج مجالها المجتمعي عن طريق التماس الثقافي بطرق كالهجرة والتنقل والتزاوج و التجارة والتوسع العسكري، حيث كان التثاقف يتم بشكل غير واع وغير محسوس وغير مقصود وانتقل التوسع والامتداد الثقافي إلى مرحلة جبرية واعية ومغرضة ، تمثلت في التثقيف الممنهج المباشر بالغزو الثقافي باستعمال التعليم والتلقين الثقافي إبان مرحلة التوسع الاستعماري الأوربي ثم انتقل التثاقف إلى المرحلة الحالية ، التي تتم باستعمال طرق ناعمة ذات تأثير عالمي باستعمال قنوات تثقيفية جديدة تتمثل في وسائل الاتصال الحديثة كالأنترنت والقنوات التلفزية الرقمية[1].

ولأن الإنسان مجني بطبعه فلا بد له بالمثاقفة والالتقاء بالثقافات الأخرى والاحتكاك معها، فيؤثر ويتأثر بثقافة الآخر مع المحافظة على خصوصيته، بدلا من صراع الحضارات يصبح حتميا علينا في هذا الوقت الذي يموج فيه العالم في كثير من التحديات ، أن ننشد إلى الكشف عن مضامين ثقافية مشتركة بين ثقافات هذه الأمم، فتأتي هنا أهمية الحوار في بناء الحضارة الإنسانية المشتركة والتعايش السلمي الغني بالثقافات المتنوعة ، والتقارب بين وجهات النظر المتباينة، ولتسهيل أمر المثاقفة كان لا بد من وجود قنوات تفتح باب الحوار بين الثقافات تحقيقا لأهداف "المثاقفة" المنشودة ومن بين هذه القنوات لدينا تدريس اللغات الأجنبية وآدابها وهو وسيلة هامة للحوار والتواصل الثقافي في حقول البحث المختلفة ، كذلك الترجمة التي تعتبر وسيطا ثقافيا تنقل الوجه الحضاري الغني في تصحيح الصور المشوهة التي زرعها البعض عن حضارتنا ويتجلى دور الترجمة هنا في كونها أداة استطاعت نقل التراث الحضاري العربي إلى العالم الغربي وزادت الروابط بين عالمنا والعالم الغربي.

[1] - جلال مجاهد، ثقافة المجتمعات من التثاقف إلى التثقيف إلى ثقافة العولمة،2017/01/13 العولمة وتطورات العالم المعاصر (حوار التمدن) مقال.

ثانيا: آليات التثاقف:

1-**تفتيت الهوية الوطنية:** عن طريق اختلاف أو انبعاث الهويات الصغرى بأصوليتها ذات الوعي الزائف اللا تاريخي، كأن يتم تسليط الضوء على أشكال من الثقافة والأدب المنتمين إلى طائفة أو منطقة بعينها، بشكل منفصل عن الجامعة الثقافية الوطنية أو القومية، كأن يتم العمل على محاولة إحياء اللغة النوبية واختراع أبجدية للكتابة بها وترسيخ مفهوم ما يسمى بالأدب النوبي والثقافة النوبية ومحاولة صرف النظر عن انتمائهما إلى الثقافة المصرية، وكذلك العمل على إحياء اللغة القبطية والحديث عن الأدب القبطي أو الأدب الإسلامي بمعزل عن الأدب الوطني المصري[1].

2-**الإحلال والإزاحة:** عن طريق التحكم في برنامج التعليم والإعلام والجوائز والترجمة، وهي تلك الممارسات التي تحدد مفهوم " الروائع وبالتالي الحكم بالسلب على نحو غير مباشر" [2] على الأعمال التي تمثل ما هو مخالف لذلك ومن قبيل ذلك يتم تسليط الأضواء-عن طريق تكثيف الاهتمام الإعلامي ومنح الجوائز والقيام بالترجمة -على الأعمال الأدبية التي تقوم بنقد وتسفيه الموروثات الثقافية التقليدية، كذلك الأعمال المنتمية إلى ما يعرف بالنسوية (Féminisme) التي تهتم بالممارسات الفلكلورية المتعلقة بقضايا المرأة " كالختان والممارسات غير العادلة والشاذة في محيط العلاقة بين الرجل والمرأة " في المجتمعات المصرية والعربية، تلك الأعمال التي تطرح نوعا من الجرأة الأخلاقية والسلوكية وتقوم بطرح رؤى مناقضة للعناصر المكونة للأبنية الثقافية التقليدية أو السائدة ، كل هذه الأعمال يتم النظر إليها باعتبارها تمثل نظرة "استشراقية""orientalist" للثقافة الوطنية، ولا تمثل نقدا لعناصر

[1] - شعيب خليفي، التذويت والوعي بالآخر، مجلة المتأهل ، عدد خاص بابن بطوطة، وزارة الشؤون المغربية، العدد60، يناير2000، ص190.

[2] - صلاح السروري: المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمةفي نظرية الأدب المقارن
http://m.ahewar.org/asp? Aid=186442

الثقافة الوطنية من خلال الانتماء للثقافة الوطنية ذاتها، إن الاحتفاء بهذه الأعمال يتم على أساس الخطاب الذي تتبناه، وهو دائما ما يكون مواتيا لمتطلبات الخطاب العولمي الذي تتبناه دوائر المركز الأورو أمريكي، بقطع النظر عن قيمتها الفنية قياسا بالأعمال الإبداعية المعاصرة لها.

3-**خلق الحاجات الثقافية:** عن طريق طرح الأسئلة التي تنبع من بيئة ثقافية تخص المركز الأورو-أمريكي وتعميمها على نحو تنميطي باعتبارها ممثلة للتوجهات العالمية والمتمثلة لروح العصر، ومثال ذلك ما يتم طرحه الآن عن طريق الايديولوجيات الاقتصادية وما بعد الحداثية، باعتبارها يوتوبيا العصر، وطرح الايديولوجيا الرأسمالية الليبرالية الجديدة باعتبارها ايديولوجيا نهاية التاريخ...الخ[1]

ومن هنا المقارنة المبنية على آليات "المثاقفة" المتعددة للظواهر الأدبية والثقافية العامة، يمكنها أن تسهم في تحقيق رؤية أفضل وتقدير أكثر دقة للاتجاهات التي تصاحب التحولات الجمالية الثقافية العامة، وكذلك الكشف الدقيق عن ما يمكن أن يمثل نظاما عاما داخل الخصوصية الأدبية الوطنية عبر حقبة تاريخية كاملة[2].

وذلك عبر منهجية تقوم على الكشف عن الخطوط الرئيسية العامة والخاصة للظواهر الأدبية.

ثانيا: الأنا والآخر:

1-الأنا:

1-1-لغة: وردت لفظة أنا في معجم لسان العرب لـ ابن منظور على أنه "اسم مكنى وهو المتكلم وحده وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرف ناصب

[1] - صلاح السروري: المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمةفي نظرية الأدب المقارن

[2] - سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1987، ص 135.

للفعل، والألف الخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف فإن وسط سقط ب إلا في لغة رديئة"[1].

كما جاء معجم الوسيط" ضمير رفع منفصل للمتكلم أو المتكلمة"[2]. وبالتالي وردت الأنا في المعاجم العربية ضمير للمتكلم المؤنث أو المذكر ويعود إلى شخص دون غيره.

1-2-اصطلاحا: لقد عرفت الذات/الأنا الإنسانية منذ القدم اهتماما كبيرا أو متزايدا من قبل الفلاسفة اليونان ثم حظيت بدراسات متراكمة في عصرنا الحالي.

ولكن يبقى مفهوم الأنا يختلف باختلاف آراء وأفكار كل منظر من هؤلاء المنطوي " فالذات لا مكان لها سوى أنها المقابل للآخر Autre تقابل تعارض وتضاد أو أنها المطابقة لنفسه المعبر عنه Identité وهو ما تترجمه اليوم بلفظ الهوية أو العينية أي كون الشيء هو عينه نفسه"[3].

أي أن الأنا/الذات هي النفس البشرية بما تملكه وتحمله من مميزات ومظاهر ثقافية نفسية ايديولوجية ، وما تحويله من أفكار وطموحات وصراعات وتوترات أي أنها "مركز الشخصية في نفس الفرد الإنسان فهي تنمو وتفصح عن قدرتها من خلال البيئة المحيطة أو الوسط الاجتماعي ويبرز الشعور بالأنا من خلال تلازم الذات مع الآخر"[4]. ومن ثمة فالأنا تبرز منذ الوهلة الأولى من ثقافتها وحضارتها ولغتها وايديولوجيتها وديانتها وبكل ما يحيط بها في الوسط الذي تعيش فيه الأنا حيث تدرك وتعي نفسها ومقدماتها (لغتها، دينها، وطنها) تدرك وتعي الآخر مباشرة وهو الذي يختلف عنها ولهذا لا يمكن

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، مج1، (مادة أنا) ج3، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص160.

[2] - المعجم الوسط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004، ص28.

[3] - محمد عابد الجابري، الإسلام والغرب الأنا والآخر سلسلة فكر ونقد الشبكة العربية للأبحاث والنشر الكتاب الأول، 2009، ص21.

[4] - سعيد فهد النويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص10.

لأي كان أن يصل إلى حدود الذات أو الأنا ما لم يصل معها وفي اللحظة نفسها إلى حدود الآخر المختلف والمتباين عنها.

فالذات أو الأنا العربية تمثل الذات الإسلامية من حيث الدين واللغة والعقيدة والفكر الحضاري، والآخر بالنسبة لها هو كل ما يختلف عنها دينيا ولغويا وثقافيا وحضاريا، فوعي النقس بذاتها يؤدي إلى تكوين الهوية التي تختلف وتتمايز وتتباين عن هوية الآخر.

أنواع الأنا:

أ- الأنا المتعالية:

في الأنا السامية العظيمة والمتعالية وأهم ما يميزها هو الصراع المستمر مع الآخر وهذا من خلال إثبات وتحقيق كيانها ووجودها، فهي تتمتع بقدرات وإمكانات عالية تجعلها تتعالى عن واقعها الإجتماعي، فالأنا متماهية تماما "مع قناعتها المتمركزة على ذاتها وإرغام الآخر على الاعتراف بها"[1].

ب- الأنا الصدامية:

هي أنا تتعارض وتتناقض بما تفعله من طموحات وأفكار وآمال مع الآخر لما يؤدي إلى نشوء علاقة صدامية بينهما ؛ أي يتم "تبادل هذا الصراع وتشبعه كلما تشبعت أصناف هذا الآخر، وتعددت في مكان واحد ولا سيما الآخر العدو الذي يحول الصراع الفكري والثقافي والحضاري إلى صراع دموي".

ج- الأنا المتماهية:

هذا النوع من الأنا/الذات تعاني من نقص في جانب ما في شخصيتها وتبحث عما يعوض ويكمل لها هذا النقص، حتى تحقق الكمال الذي يتمثل به الإنسان والتماهي

[1] - مهد صابر عبيد: جماليات التشكيل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص65.

والتماهي "آلية سيكولوجية لا شعورية يتمثل الشخص بواسطة آخر مظاهر وخصائص أو صفات شخص آخر".

2-الآخر:

2-1-لغة: جاء لفظ الآخر في مقياس اللغة لـ أحمد بن فارس "أحد الشيئين وهو اسم على أفعل والأنثى أخرى"[1].

ورد في القرآن الكريم بصيغ عدة نذكر منها صيغة المذكر (آخر) قال تعالى ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾[2].

تبين من هذه التعاريف الأولية أن الآخر جاء بمعنى الغيرية والمخالف من جهة ، ومن جهة أخرى بمعنى الغير سواء كان إنسانا أم شيئا.

2-2-اصطلاحا: بالنسبة للمفهوم الاصطلاحي لمفرد الآخر فإنه من الصعب أن نجد له مفهوما واحدا مستقرا " ؛ وذلك بسبب مرونة الحدود التي تضبط مساحته تبعا لاختلاف معناه في المرجعية الثقافية للمهتمين به فقد يميل نحو (الأمر المختلف) الذي لا يخرج عن إطار النسق الثقافي للجماعة التي تعده آخر وقد يراد به (الآخر المختلف) الذي يخرج عن إطار النسق الثقافي لتلك الجماعة"[3].

وبمعنى أنه يكون مواضع عديدة وليس شرطا أن يكون في موضع واحد " الآخر قد يكون أحد الأفراد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم خلافا للآخر، قد يكون قريبا أو قد يكون بعيدا وقد يكون عدوا يفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه"[4].

---

[1] - أبو حسن بن فارس بن زكريا: مقياس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1971، ص48.

[2] - سورة البقرة، الآية27.

[3] - لؤي خليل، الأدب والموقف من الآخر(حي بن يقظان) لابن طفيل وروبنسون كروز لدانيال ديقو نموذجا، مجلة جامعة دمشق، سوريا، مج30، ع2014،2،1، ص74.

[4] - عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر، الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص9.

أما إذا اتجهنا إلى أبسط مفاهيمه فيمكننا القول بأنه المختلف – شكل أساسي على نحن– ، ومما سبق نجد أن الآخر ليس شرطا أن يكون مختلف في الجنس أو الصفة فقط وإنما يتجلى أيضا في اللغة المتداولة.

4–مواقف الأنا اتجاه الآخر:

نرى أن موقف الأنا (العرب) في الخطاب الثقافي نحو ذلك الآخر (الغرب) قد تعددت إلى ثلاث مواقف وهي كالآتي:

1–موقف الإعجاب بالآخر:

لقد ظل الأنا العربي معجبا ومنبهرا من الآخر الغربي وتجلى هذا الإعجاب في تلك الثقافة العربية ، من حركات فكرية وعلوم لم يأت العرب بمثلها "كل ذلك بدأ العرب ينفتحون عليه أو ينفتح به الغرب نفسه عليهم عبر تفاصيله التي أذهلت العرب بدءًا بحملة (نابليون) وماتلاها من تعزيز للعلاقات"[1].

فمن خلال هذه العلاقات حدث تقاربا وهذا "التقارب بين الأنا والآخر لن يكون إلا عبر ظلال الحب والاحترام الذي يتجلى بالاعتراف بخصوصية الآخر"[2].

2–موقف الرفض للآخر:

من الطبيعي أن يكون بين العرب والغرب عداوة وذلك منذ القدم حيث " قامت العلاقات بين العرب والمسلمين وبين الأوربيين على الصراع الذي تمظهر في حركات الاستعمار القديم والاستعمار الحديث"[3].

فالأنا تحاول بدورها أن تكشف صورة هذا الآخر الغربي وتحاول فهم سبب تخلفها وتراجعها بالنسبة إليه ، في حين أن الآخر يحاول أن يفهم هذا العربي المسلم لكي يبسط سلطته عليه ويتحكم فيه بقوة الغرب ليس قوة فطرية من عند الله وإنما ذلك معتقد قديم

[1] - نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ط1، دار الفارابي بيروت، لبنان،2013، ص39.

[2] - ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر(نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2013، ص167.

[3] - عبد الله ابو هند: صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية، مجلة دمشق، 5/4،دمشق، 2008، ص105.

ترسخ في الفكر العربي عن طريق فرض الغرب نفسه بواسطة الاستعمار على أساس أنه مركز القوة ، أما في الحقيقة يمكن القول أن "الحضارة والقيم الأوربيين لم يكونا ممكنين بدون عطاءات الإسلام"[1].

أي أنه لولا الاسلام لما كانت كل تلك الثقافات لدى الغرب –وزمنه نرى أن حقيقة " إمكانية التزاوج والتفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية أمر مستحيل ؛ لأن أي دراسة متعمقة للأساسات التي قامت عليها كل من عائلة الحضارة الإسلامية وعائلة الحضارة الأوربية لا تترك مجالا للشك بأن لكل منهما طريق مختلف وسياقا خاصا"[2].

3- موقف الحياد من الآخر مع الاستجابة المشروطة:

إنه موقف وسط بين موقف الحماسة للآخر وبين الرفض المطلق له، لأنه إذا مال هذا الأنا إلى الآخر إلى درجة الحماسة به فهذا يلغيه وتصح تبعيته ولا درجة رفضه وأخذ صورة سيئة له ، إن ما جعل الأنا تأخذ هذا الموقف الحيادي من الآخر هو حضارتها الإسلامية التي تعد أكبر الحضارات، رغم انبهارها بحضارات وثقافات الآخر التي لم تظهر لدى الأنا إلا متأخرة، فالعطاءات كانت متبادلة بينهما فالأنا أخذ من هذه الحضارة الغربية والآخر أخذ من الحضارة الإسلامية.

وزمنه يمكن القول أنه مع " ازدياد سوء التفاهم بيننا وبين الآخر وامتلاء قلوب الكثيرين مشاعر الضغينة ضد الآخر المختلف بتجانس، إننا بأمس الحاجة اليوم إلى دراسة صورة الآخر فهي تعني شخصية الإنسان فيزداد فهمنا لذاتنا وللآخر"[3].

وذلك عن طريق لغة الحوار بين الأنا والأنا بعيدا عن تلك الأحقاد والعقد النفسية.

---

[1] - محمد نور الدين طابة: الغرب في المتخيل العربي، منشورات دائرة الثقافة والإسلام، العراق ، ط1، 1996، ص26.

[2] - محمد مورد: الإسلام وأمريكا حوارات مواجهة، البيان للنشر، الأردن ، ط1، 2001، ص76.

[3] - ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2013، ص32.

ثالثا: الحوار والهوية:

إن موضوع الحوار والهوية من المواضيع المترابطة بحكم أن وجود الهوية يستدعي وجود الحوار، ومن هنا نتطرق لمفهومهما كلا على حدى ونستنبط أهميتهما:

1-مفهوم الحوار:

الحوار تبادل الكلام ومراجعته بين طرفين ويعرف الحوار بأنه مناقشة الكلام بين الأشخاص بهدوء ودون تعصب لرأي معين أو عنصرية ، وهو مطلب من مطالب الحياة الأساسية فعن طريقة يتم التواصل بين الأشخاص لتبادل الأفكار وفهمها، يستخدم الحوار للكشف عن الحقيقة فيكشف كل طرف من المتحاورين ما خفي على الطرف الآخر، فالحوار يشبع حاجة الإنسان ويسمح له بالتواصل مع البيئة المحيطة والاندماج بها إضافة إلى أنه يساعد على التعرف على وجهات النظر المختلفة للمتحاورين، وورد في المعجم المفصل في اللغة والأدب فيما يخص تعريف الحوار " الحوار والمحاورة، المحادثة، مصطلحات تدل عموما على تناوب الكلام بين شخصين أو أكثر حول موضوع يفترض فيه الأخذ والرد توصلا إلى حاجة وبلوغ غاية" [1] .

فالحوار يعد تعاونا بين الأطراف المتحاورة بهدف معرفة الحقيقة والوصول إليها، وفيه يكشف كل طرف ما خفي على الطرف الآخر.

1-أصول الحوار:

لا شك أن الأهداف المرجوة من الحوار لا يمكن أن تتحقق في ظل غياب جملة من الآداب والأسس العامة التي لا بد أن يلتزم بها أطراف الحوار نذكر منها:

- التحديد والعناء مركزية للذات.
- احترام الآخر.
- حسن المعاملة والتحاور والإحسان إلى الآخر.

[1] - إميل بديع يعقوب وميشيل عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، مج1،ط1، دار العلم للملايين، بيروت، ص587.

- التواضع وتجنب الغرور واستخدام الأسلوب المهذب.
- عدم تعميم الأحكام.
- الإخلاص في كنف الحقائق وإبرازها وعدم التمويه.
- تحديد المفاهيم وضبط الأحكام.
- البحث عن نقاط الاشتراك.
- التراجع عن الخطأ والاعتراف به إن فعله.
- الغاية الوصول إلى الحق.
- أن يؤدي الحوار نفعا عاما.

2- مفهوم الهوية:

الهوية تبدو في المطلق مصطلح فردي ولكن قد يتشارك بعض الأفراد في هوية واحدة فلكل عائلة هوية، فهناك هوية اجتماعية وفقا للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد، فالهوية الاجتماعية قد تدل على المكان الذي يعيش فيه الفرد كالمدينة أو الدولة وقد تدل على الطبقة أو الشريحة الاجتماعية وعليه " الهوية دائما جماع ثلاثة عناصر، العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى"[1].

فأهم عناصر الهوية الدين واللغة يعتبران ميزة خاصة لشعب ما عن شعب آخر، فالهوية هي الوصي بالذات الثقافية والاجتماعية، وهي لا تعتبر ثابتة وإنما تتحول تبعا لتحول الواقع إذ تعد خصوصية ذاتية وثقافة الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه: فهي جزء لا يتجزأ من منشأ الفرد ومكان ولادته حتى وإن لم يكن أصله من نفس المنشأ.

3- علاقة الهوية بالآخر-الحوار الهوياتي-

إن الهوية هي مجموعة العوامل التي تمنح الإنسان والمجتمع الشعور بالانتماء والوجود والمصير المشترك ، وهو ما يضمن استمرارية الجماعة ويمحي كيانها فلكل شعب

[1] - محمود سمير منير: العولمة وعالم بلا هوية، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2000، ص146.

هويته التي تميزه إلا أن الهوية لا تستمد كينونتها من ذاتها فقط، بل من المفارق لها أيضا، لذلك بأن منطقيا الاتصال بالآخر والانفتاح عليه والتحاور معه للاستفادة من تجربته وخبراته " الآخر الذي أصبح مرآة الذات من خلاله تتمركز وتعيد تقييم نفسها".

فللمسألة بين الأنا والآخر تلعب دورا هاما في وعي الهوية في انغلاقها وانفتاحها، فالهوية لا تحقق توازنها من خلال الذات فقط، بل من خلال الحوار والاحتكاك بالآخر أيضا، لقد احتلت ثنائية الأنا والآخر (الشرق والغرب) مكانة هامة في الفكر العربي الحديث، وخاصة بعد الوعي الأنا العربي بضرورة تحديد هويته، فشكل الآخر جزءًا منها، وذلك وعيا بعمق العلاقة بين هذا الجزء من العالم الذي ينتمي إليه العرب المسلمين أو يطلق عليه عادة (الشرق)، وذلك الجزء من العالم الذي ينتمي إليه الأوربي أو ما يطلق عليه (الغرب)، " بدأ سؤال الهوية يؤرق الإنسان العربي نتيجة احتكاكه بالآخر الذي سلقه حضاريا...إذ المرء لا يدرك أهمية هويته إلا في لحظة مأزومة"[1].

كذلك لم يعد الآخر في أدبيات الفكر الحديث مجرد عنصر للحوار، لكنه أصبح جزءًا أساسيا في تكوين الذات، لذلك استخدم العديد من الكُتّاب الرواية كوسيلة ناجحة لإيصال رسائلهم للقراء بطريقة واقعية أكثر من أي فن آخر.

[1] - ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2013، ص20.

الفصل الثاني

التفاعل الثقافي وحوار الأنا مع الآخر في رواية (قلب الإسباني)

أولا: قراءة ثقافية

ثانيا: أثر الموروث الثقافي في إثبات الآخر

1- الأثر السلبي
2- الاثر الايجابي

ثالثا: حالات الاتصال وتجليات التثاقف بين الأنا والآخر(تأثر وتأثير)

1- حالة الانبهار بالآخر
2- حالة الذوبان وإلغاء الأنا
3- حالة التمسك بالأنا
4- تجليات التثاقف

رابعا: أزمة الهوية والبحث عن الذات:

1- التصادم مع الآخر والبحث عن الهوية الضائعة:
2- الوعي بالذات

أولا: قراءة ثقافية:

تأتي رواية "قلب الإسباني" للمبدعة "جميلة طلباوي" في خضم نتاج روائي محلي غزير تدفق عام 2018، ومع هذا الدفق السردي إلا أن "قلب الإسباني" لها ميزة عن غيرها برؤية مغايرة وبناء جمالي إبداعي تقوم الرواية على قضية محورية ذات بعد ثقافي بنيوي ودلالة ثقافية مقصودة، لها أهمية في بناء الرواية وتوجيه أحداثها وفضاءاتها لتجعل الرواية تحلق خارج سرب النسق الجمعي، وذلك باستحضار ذات تقبع خارج حدود ذات ثقافة المجتمع المتأصلة القائمة على الانغلاق والتشبث بالموروث الثقافي الشعبي وتأثير الذات الأخرى، فتحضره الساردة في الحقل الروائي محاولة منها خلخلة الثقافة الضدية نحو هذا الآخر كما أنها تحاول اختراق المتخيل الثقافي الواقعي سلطته ونفوذه.

إذ ساهم هذا المتخيل التراثي الإبداعي في تعزيز هذا العرف الثقافي واستجلابه وإعادة إنتاجه داخل حقلها التخييلي، فالمؤلفة اختارت أن تنحاز للتعايش الحضاري وقيم الحب ونجحت في التسرب من تحت أعين حراس المتخيل لتسعى من أجل نقض تلك النظرة وتلك الصورة النمطية عن الآخر.

"قلب الإسباني" إنه عنوان اعتمدت فيه الروائية على إجراء الحذف والغموض فيه للفت انتباه القارئ وإبدائه اهتماما أكثر بها، تركيزها على القلب يوحي بعمق المعاني لمن يغوص في أعماق السطور وما يحمله من ألم الفقد ودلالات الحنين والاشتياق، جعلت منه تتكيرا إيحاءً منها بأن أي قلب إنساني إذا زرع يجد عبد النور سيكون له نفس التأثير عليه، فالقصة أعمق من ربطها بشخص واحد فكأنها هي استعادة التاريخ من غرفة الإنعاش بعيدة الندم التاريخي[1].

1- عبد الحفيظ جلولي، "الوهم والمستحيل" في رواية قلب الإسباني ، جريدة الجمهورية ، وهران .

تستعيد الكاتبة حكاية كانت واقعا جميلا مسترجعة إياها بألم الفقد والألم على ماض هو لن يعود، لتنقل لنا في صفحاتها الأولى قصة طفولة أيوب مع أمه وأخيه عبد النور لتستعين بتناص من القرآن لقصة "هابيل وقابيل" لتبرز لنا نوع العلاقات بين البشر.

أيوب في لحظة استرجاع زمن الحاضر وفي لحظة استفاقته على منظر أخيه عبد النور وهو مرمي أمامه وشعوره بالندم لأنه لم يسمع لأخيه العائد من اسبانيا ، شقيقه ذا القلب الإسباني في جسد عرب، لحظة ندم أيوب على فعلته "ينفلت من بين يديه، متساقطا على طاولة زجاجية، فتهشم رأسه لافظا أنفاسه الأخيرة، أو هكذا تراءى لأيوب" هي لحظة الندم التاريخي وذلك الحنين المعلق للحظات جميلة، وكأن سقوط عبد النور والتقاط أنفاس أيوب هي عبارة عن صورة الأندلس ما كانت عليه وما آلت إليه، إذا هنا الندم التاريخي الذي استطاعت الساردة استحضاره في سطور سردية عميقة ذات دلالات رمزية لتحيلنا على تساؤلات عميقة هل تعود الأندلس يوما ما ؟؟ وهل يمكننا أن نسترجع ماض قد فات؟ هذا الأمر نتذكره دائما ما إن يتبادر إلينا اسم الأندلس وكأنها معلقة في قلوب العرب ، لتنفجر أقلام الكتاب بتجسيد حضارة كانت ملكا لنا في يوم من الأيام بخطوط جميلة وإبداع أجمل لتلك الفترة التي تعكس مدى نجاح الأنا في ظل وجود الآخر.

ندم أيوب يمثل تلك اللحظة المأساوية لفقد الأندلس أمام أعيننا لم نحرك ساكنين، هوية هي الأخرى تلاشت مع الكثير من التفريط في مكتسبات حضارية عبد النور ذلك الشاب الذي هاجر أرض وطنه ملتقيا بآخر؛ وهذا الأخير مثلته سطور الرواية بوجه أنثوي جميل أطلق عليه اسم صوفيا التي كانت المنقذ لعبد النور ضعيف القلب فأسعفته هي الأخرى بعملية نقل قلب إسباني لجسده العربي وكأن ذلك هو عودة الأندلس من جديد ليبرز لنا ذلك الوعي العربي الراهن، معلقا آمالا في عودة حضارة كانت يوما ما تسكنه.

عبد النور شخصية رمزية أرادت من خلاله الساردة أن يكون هو الأندلس وهو تلك الحضارة المنصهرة في إسبانيا ؛ حضارة عربية إسلامية داخل أنقاض مدريد وكأن دلالة اسمه تكفي لأن يمثل الأندلس نجاحه في مجال عمله وتفوقه كذلك هو رمز لإشعاع حضارة الأندلس على أوربا التي كان يسودها الجهل والظلام، بمجيء الأندلس أضاءت المكان وأعلنت النور و الحضارة، فسطور الرواية مثلت ذلك من خلال علاقة صوفيا بعبد النور والذي هو الآخر أخرجها من جراحها " لم يفهم عبد النور كيف لطبيبة ناجحة أن يحطمها رجل لم يترك لها سوى رأس تنين خام وكثير من النيران المضطرمة في قلبها"[1].

هنا إذن حضارة عربية قد نهضت بأوربا فافتقدناها، لنجد أن المشترك التاريخي بيننا حاضرا بقوة وتجلى ذلك في حلم شباب حي دبدابة لزيارة اسبانيا الفردوس المفقود والتلهف بشغف لرؤيتها.

تتداخل الأحداث بعضها ببعض لتميط الساردة اللثام على قضايا متعددة بصورة إبداعية ، لو تعمقنا أكثر لوجدنا أن النسق السياسي ظاهرا فشكّل لنا ذلك النوع من الصدام الخفي مع الآخر، فنلاحظ أن للتطورات السياسية التي شهدتها المنطقة وتشهدها الآن أيضا تأثيرا واضحا في رسم الاتجاهات المختلفة لرؤية الآخر، الأحداث السياسية مقحمة إقحاما، إذا نلاحظ أنه لا نستطيع بشكل من الأشكال إقصاء العامل السياسي عن العلاقة القائمة بيننا.

ثانيا: أثر الموروث الثقافي في إثبات الآخر:

يعد الموروث الثقافي مادة خصبة لما يحويه من قيم تمثل الهوية الحقيقية لكل أمة بعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، يحرص الأديب على استحضارها في كتاباته مستندا على مرجعية ثقافية وتراثية تسمح له بالتعبير عن هويته ومجتمعه، فيعمل على إحياء التراث في أعماله الإبداعية، من أجل المحافظة عليه وعرضه على الأجيال الحاضرة لأخذ

1 – جميلة طلباوي ، قلب الإسباني ، ط1 ، دار الوطن اليوم ، العلمة ، الجزائر ، 2018 ، ص51.

العبرة منه، من بين هؤلاء نجد الكاتبة جميلة طلباوي في روايتها "قلب الاسباني" قد لجأت الى استلهام مختلف الأنواع التراثية التي أبانت على اهتمامها بالموروث الثقافي والشعبي لمنطقة الجنوب باعتبارها ابنة المكان، وأبرزت سعة تراثه وتنوعه ومدى تأثيره على البيئة الصحراوية من خلال شخوص الرواية.

عمد النص السردي إلى إماطة اللثام على موضوع غاية في الأهمية ألا وهو نظرة المجتمع للموروث الثقافي بشقيه المادي واللامادي ، باعتباره شكلا من أشكال الهوية فلا يمكن المساس به والخروج عنه لترسخه في ذهنية الأفراد رغم ما يحمله من سلبيات أثرت بشكل كبير على تصورات وأفكار الأنا الجمعي، وتفاعلاته وهو ما لمسناه في سطور الرواية، لنحاول إبرزا ذلك الأثر بجانبيه السلبي والإيجابي في إثبات الأنا.

1-الأثر السلبي:

تعد البيئة الصحراوية من البيئات التي يعيش فيها الأفراد على شكل جماعات يتفاعلون فيما بينهم استنادا إلى ما يملكونه من تصورات سابقة تشكلت بانتقالها إليهم عن طريق الأجيال السابقة، فيكشف لنا النص السردي بين سطوره أن التطور الحاصل في العالم والتفاعل الحضاري يفرض وجوده ليصبح الموروث الثقافي في جزء منه يعيق التقدم ويؤثر على الأنا الجمعي، فيجعلها منغلقة على نفسها وجامدة لأنها لا تواكب ذلك بسبب بعض المعتقدات الراسخة في ذهنيتها ظهرت عبر شخوص الرواية، ليحيلنا النص السردي الى ذلك في الكثير من المحطات التي تبرزه بعائلة أبا هدي التي تسكن الحي الشعبي الكبير بالدبدابة، عانت كثيرا بسبب إنجاب البنات فقط في بيئة سيطرت عليها العادات الموروثة التي تقضي بضرورة إنجاب الذكور وتنظر إليه على أنه رمز لاستمرار نسل العائلة وسند لها، كانت تحمل المرأة سبب ذلك فنجد أم العيد عانت كثيرا من سماعها "

لكلام جارح طالما أدمى قلبها و لا تدركه إلا من حرمن من نعمة الذكر في مجتمع يخالف العلم ويعتقد بأن المرأة هي المسؤولة عن جنس المولود"[1].

كما كان قلبها ينكسر كلما سمعت حماتها " أمّا ستي تحدث أمام عقيدة ونسوة الحي وتشتكي لهن سوء حظ ابنها الذي تزوج من هذه المخلوقة التي يعاف الذكر رحمها متوسلة الى أما عقيدة أن تعطيها وصفة لها الأمنية فتحمل كنتها بذكر"[2].

بذلك أراد النص السردي أن يبرز لنا الأثر السلبي للموروث المترسخ في ذهن المجتمع والذي يحمل الأنا ذنبا ليس بيدها ولا يمكننا تغييره، بعيدا كل البعد عن العلم الذي يظهر الحقائق والذي حثنا عليه ديننا الإسلامي، فجهل الأنا الجمعي بأهمية ذلك قد يؤدي بها الى اللجوء الى أشياء بعيدة عن الفهم الصحيح له، ليبرز ذلك في سطور الرواية من خلال حيرة العائلة فقد "عادت أمّاستي من زيارتها للطالب السي أحمد ذات مساء وهي تحمل تميمة وتأمرها بأن تعلقها لعلها تنجب الذكر، فقد كلفتها تلك التميمة عكة كاملة أهدتها للطالب السي أحمد، لم تعترض خالتي أم العيد على التميمة أمسكتها بيدها وخبأتها في صدرها وظلت ملتزمة صمت الصابر المحتسب"[3].

هكذا ترسخ ذلك التصور لدى عائلة أبا هدي بأن تلك التميمة قد تكون سببا في إنجاب الذكر الذي طالما انتظرت مجيئه، أخيرا ولد الطفل الذي سيحمل اسم عائلة أبّا هدي غير أن الأسرة كانت قلقة بسبب "البنية الضعيفة لأيوب تفطنت لها العائلة مبكرا وهو ما يزال في عامه الأول رضيعا[4].

اتجهت به إلى طامو "خادمة الزاوية لترضعه لعل في حليبها البركة"[5].

1، – قلب الإسباني ، ص 21 .

[2]-الرواية، ص20.

[3]-الرواية، ص21.

[4]-الرواية، ص11.

[5]-الرواية، ص11.

هكذا ترسخ في ذهنها خاصة بعد تأكيد أحد العجائز لها "بأن حليب المرأة السوداء أسرار كثيرة"[1]. فقد شفي ابنها بسببه.

ليظهر لنا النص السردي أن قيام العائلة بذلك إنما استند إلى الموروث الثقافي الذي صور لهم فائدة حليب المرأة السوداء وتناقل ذلك عبر الأجيال، فيحيلنا إلى إعادة النظر في هذا الأمر حتى يخرجنا من حالة الجهل التي قد تضر الأنا الجمعي.

أيوب لم يكن هو الذكر الوحيد في العائلة فقد ولد شقيقه عبد النور " فكانت سعادة خالتي أم العيد غامرة، أخيرا ذهبت أيام الذل دون رجعة"[2].

أما أمّاستّي فقد أصبحت "تتصدر المجالس النسوية باعتزاز"[3].

كذلك والده أبّا هدّي " هو الآخر صارت لجلسته مع رجال الحي نكهة أخرى تخلص من عقدة النقص فقد صار والدا لذكرين"[4].

ربما أرادت سطور الرواية من خلال ما ذكرناه أن تحيلنا الى قضية مهمة وهي الأثر السلبي الذي يتركه الموروث في بعض جوانبه على الذات، خاصة أن فقدانها لبعض الأشياء يجعلها تشعر بالإقصاء وتسيطر عليها مشاعر الدونية مما يعيق تفاعلها الإيجابي مع الآخر، عوض أن يكون حافزا لها على تخطي العقبات التي قد تعترضها، فمكانة الذات عند الأنا الجمعي ليست بقيمته الإنسانية الأصلية التي يدعو إليها ديننا الحنيف بل تتحكم فيها شروط تفرضها المعتقدات السائدة والمتوازنة.

لم تتوقف معاناة العائلة عند مرض أيوب الذي ازداد سوءًا بل إن تأخر عبد النور عن المشي ولّد لديهم شعورا بالخوف "أمّاستي أكدت لهم بأن العين أصابت الذكرين وراحت تطلق بخور الجاوي في زوايا البيت"[5].

---

[1]-ا قلب الإسباني ، ص12.

[2]-الرواية، ص24.

[3]-الرواية، ص24.

[4]-الرواية، ص25.

[5]-الرواية، ص25.

لتعود المعتقدات الراسخة في الذات وتفرض نفسها على الوعي، لم تقف أمّاستي مكتوفة اليدين بل اتجهت الى الطالب السي أحمد " فهو مقصدهن كلما تألمت إحداهن أو تأخّر حملها أو مرض أحد أطفالها أو أحد أفراد عائلتها، تحمل النسوة الهدايا للطالب السي أحمد يقبلن رأسه ويده، ويحكين له همومهن ويشتكين له آلامهن"[1].

فلم يبخل على الصغيرين بتميمتين علّقت على صدر كل واحد منهما، لم تنفع تلك التمائم الطفلين، كما أن لجوء العائلة الى وضع عبد النور داخل سلة وترديد أصوات "حيشي حيشي ما بغى لميشي، أطلق سراحه ياربي"[2].

والسير به في الزقاق لملء السلة بالدقيق والسكر " لعل في العطية الثقيلة بركة "[3]. المستمدة من التراث الشعبي هي كذلك لم تنفع إلا بعد أخذه لعيادة الطبيب الاسباني المقيم في مدينة بشار فما " كانت لعنة بركة حمو قيو سوى مرض التهاب سحايا الدماغ"[4]. لتدرك أمّاستي أن " الطبيب السبنيولي قد أثبت تفوقه على تمائم الطالب السي أحمد" [5].

المتمعن في كل ذلك يدرك بأن سذاجة التفكير لا تعطي حلولا فعالة فالإيمان ببعض المسلمات التي ورثها الأنا عن الأجداد لا يمكن الاعتماد عليها في ظل التطور العلمي الحاصل الذي يفرض على الذات الخروج من حالة الانغلاق والانفتاح على الآخر بما فيه فائدتها.

الأثر الإيجابي:

كما تطرقنا سابقا إلى أن الموروث الثقافي في بعض جوانبه كان له أثر سلبي على الأنا لا يمكن أن نلغي أثره الإيجابي الواضح عليها، إذ ساهم بشكل كبير في إبراز الهُوية

[1]- قلب الإسباني ، ص33.
[2]-الرواية، ص29.
[3]-الرواية، ص29.
[4]-الرواية، ص34.
[5]-الرواية، ص34.

الصحراوية وثراء موروثها الثقافي والشعبي المتنوع والذي عانى من التهميش، فنجد أن مقاطع النص السردي قد ذكرت الكثير من أنواع الموروث منها الزوايا ذلك المكان الذي تتجسد فيه صور التعاون من خلال شخصية طامو " تلك الشابة ورثت خدمة الزاوية عن والدتها مثل إخوانها وقريبا من قبلها، يجدن متعة في إعداد الطعام لضيوف الزاوية وفي تنظيفها وغسل أفرشتها"[1].

إذ تقوم طامو رغبة منها لما تحمله رمزية الزاوية في الذات فعزز بداخلها حب العطاء وترسخ في ذهنها بعد أن ورثته عن أمها وأخواتها، وهكذا أثّر هذا المكان على الأنا فجعل تفاعلها إيجابيا مع الآخر، إلى جانب ذلك نجد بأن الكتاتيب هي الأخرى حظيت باهتمام حي الدبدابة فكانت مقصدا لأولادهم لحفظ كتاب الله " فيصنعون فرحة أهاليهم وبهجة الزقاق"[2].

بعد إظهارهم لحفظ القرآن الكريم "ينالوا من هبات سكان الحي، هي بيض يقدمونه لمعلمهم الطالب مكافأة أن سهر على تحفيظهم كتاب الله"[3].

فنجد أن أمّاستي طالما كانت تحلم " وهي تتحدث عن حفيديها وكيف أنهما سيحفظان القرآن في الكُتّاب"[4].

أرادت سطور الرواية أن تشير إلى أهمية هذه العادات التي توارثتها الأجيال إذ رسّخت في الأنا حُبّ القرآن وضرورة تعلمه لما يحمله من قيم عظيمة وتأثيره على الذهن والتصورات، فيجعلها تنفتح على الآخر وتتحاور معه بما يناسب مبادئها كما تتفاعل معه بشكل إيجابي وفعّال، وقد لمسنا تأثر أيوب بالكُتّاب في شخصيته المحبة للآخرين والاهتمام بهم ، كما أن اللباس التقليدي كان له أثرا بارزا في اعتزاز الأنا بانتمائها ورسخ في ذهن المرأة الحشمة وضرورة سترها لنفسها، وقد عمدت الساردة الى تسميته بالدارجة

[1]- قلب الإسباني ، ص13.
[2]-الرواية، ص44.
[3]-الرواية، ص24.
[4]-الرواية، ص24.

حتى يتعرف عليه القارئ ويترسخ في ذهنه كنوع من التراث المحلي للجنوب، وقد كانت نساء حي الدبدابة ترتدينه وظهر من خلال سطور الرواية "أخبرته خالتي أم العيد كيف أنها ارتدت الحايك وحملته بين ذراعيها والجدة أمّاستي إلى جانبها بلباسها التقليدي ليزار وعلى رأسها الغُنّاس"[1].

إضافة الى ما ذكرناه نجد بأن الأمثال الشعبية هي الأخرى جعلت الأنا تعتز بانتمائها وهويتها وبحكمة الأجيال السابقة فحفظن كلامهم وتناقلنه من جيل الى آخر ليصل إلينا، وقد ظهر أثره على الأنا في سطور الرواية من خلال امتعاض بنات أبّا هدّي من سوء معاملة جدتهم أمّاستي "لكن خالتي أم العيد كانت تزجرهن وتذكرهن بالمثل القائل اللي غاب كبيره الهم تدبيره"[2].

وكذلك قولها لهن "اللي صبر ينال"[3]. هذا ما رسخ في الأنا قيما أخلاقية عالية منها احترام الكبير وتقديره وأهمية الصبر، أما التويزة هي الأخرى كانت من العادات المهمة التي يعتمدها الأنا الجمعي في جنوب الصحراء ليتجلى ذلك في قول الكاتبة: "هكذا تهمس خالتي حدة للنسوة المجتمعات في حوش بيتهم لفتل الكسكسي في تويزة ورثتها عن الجدّات"[4].

أراد النص السردي أن يلفت انتباهنا إلى أهمية هذا الموروث الثقافي المترسخ في الأنا ، وأن يشعرها بمشاركة الآخر لها ويشير الى الترابط والتماسك بينهما مما يعزز هويتها الذاتية وهو ما يقوله جورج طرابيشي:" الارتباط بالتراث يعني أن ننشئ مدارسنا الجديدة وفق المعتقدات الأولية نفسها التي قيدت نظرة القدماء...وحين نصل الى ذلك سيكون فكرنا المعاصر تصاعدا مبدعا للفكر العربي الإسلامي المستند الى أصول

[1]- قلب الإسباني ، ص12.
[2]-الرواية، ص21.
[3]-الرواية، ص21.
[4]-الرواية، ص31.

معتقدية واحدة، وسيكون فكرنا العربي المعاصر مواجهة مبدعة لمشاكل الحاضر والمستقبل...ومن هنا ضرورة تقديس التراث طريقا للنهضة" [1].

ومن خلال كل ما ذكرناه نجد بأن النص أراد توضيح الدور البارز الذي لعبه الموروث الثقافي في إثبات الأنا وتمسكها بهويتها ، غير أن ذلك لا يمنع من إعادة النظر في بعض المعتقدات التي تعيقها في التفاعل الإيجابي سواء مع الأنا الجمعي أو الآخر حتى تعطي صورة مشرقة عن حضارتها.

ثالثا: حالات الاتصال وتجليات التثاقف بين الأنا والآخر(تأثر وتأثير):

طالما اختلفت وجهات النظر بين الأنا والآخر وتباينت علاقته معه، فهي ليست بالعلاقة الواحدة في كل الحالات، وقد انقسمت إلى رؤى متعددة لفهمه واعتباره حقيقة موجودة لابد من الإقرار بها إذ تأسست علاقة الأنا والآخر وفق تأويل صورته الذهنية وعبر الصورة العامة له ، التي تتشكل عن طريق فعل التواصل والتجربة الشخصية كذلك تتأثر الأنا بالسياق التاريخي والثقافي لهذا الآخر في رسم نظريتها حوله بالسلب أو الإيجاب أو التوازن.

فنجد بأن رواية "قلب الإسباني" تحدد تلك العلاقة بينهما في ثلاث حالات وهي:

1- حالة الانبهار بالآخر:

يقصد بها النظرة القائمة على الإعجاب بالآخر والانبهارية لما وصل إليه من تفوق وازدهار، وتجلى هذا الموقف في انبهار سكان حي الدبدابة بالطبيب الاسباني الذي " نزح إلى الجزائر في الحقبة الاستعمارية ولم يغادر المدينة"[2].

وكان سبب ذلك أنه " أثبت تفوقه على تمائم الطالب السي أحمد"[3]. لتكتشف الذات عجزها عن علاج المرضى مستندة في ذلك على وصفات تقليدية مستمدة من موروثها ،

-جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة " دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية " ، دار الكتاب العربي [1]، لبنان ، 1989 ، ص 88 ، .

[2]-ا قلب الإسباني ، ص34.

[3]-الرواية، ص34.

قد لا تشفي إلا الحالات البسيطة فانبهرت بتطور الآخر "وصارت العائلات من زقاق عمي سالم تقصده لعلاج أطفالها المرضى"[1].

أراد النص أن يبرز أن الانبهار بالآخر قد يكون إيجابيا في بعض حالاته خاصة إذا ارتبط بالمجال العلمي النافع فيساعدها ذلك على الخروج من حالة الانغلاق وبالتالي الانتفاع بثقافته.

الموقف الآخر الذي تجلت فيه حالة الانبهار هو تغيير النسوة لنمط لباسهن "حتى أنهن استبدلن الحايك زيّهن الأصلي بالجلاّبة وتخلّين عن النقاب، وأصبحن يسايرن عصرا جديدا بدأ يغيّر تفاصيل الحياة في حي الدبدابة الشعبي الكبير"[2].

فانبهار الأنا بثقافة الآخر والاهتمام بها والتعطش لمعرفة المزيد عنها قد يجعلها تخسر ثوابتها وقيمتها إذا لم تتمسك بهما، فقد أصبح (الانبهار) ضرورة حيوية يفرضها الواقع الاجتماعي الحتمي بسبب الصراع الحضاري وقدرة كل طرف على إبراز ثقافته بصورة مغرية، وهذا ما لمسناه عبر شخوص الرواية إذ نجد الشباب صاروا يتطلعون الى تقليد الآخر وانتشرت بينهم عبارة "هنا ما كان والو"[3].

دليلا على النقص الذي تعاني منه الذات اتجاه ثقافتها ورسم صورة مشرقة للآخر، فالنص السردي أراد التنبيه الى أهمية ذلك لما يشكله من خطر على هوية الذات وصولا الى حالة التماهي وهو ما سنوضحه في السطور القادمة.

2- حالة الذوبان وإلغاء الأنا:

يدعو هذا الموقف بشكل ملفت للانتباه للالتحاق بالحضارة الغربية ولعل قول سلمى موسى يؤكد ذلك إذ يقول "هذا هو مذهبي الذي أعمل عليه طوال حياتي سرا وجهرا

[1]-اقلب الإسباني ، ص34.
[2]-الرواية، ص73.
[3]-الرواية، ص43.

فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب وفي كرهها أكتب أحاول أن أغرس في ذهن القارئ تلك النزاعات التي اتسمت بها أوربا"[1].

فالعلاقة بين الأنا والآخر اتخذت أشكالا متعددة منها ما هو تجاري ومنها ما هو عسكري ومنها ما هو ثقافي إنساني، هذا الأخير يظهر بشكل بارز بين سطور النص السردي(قلب الاسباني) الذي صور لنا منها في بعض جوانب التفاعل بين الأنا والآخر والانفتاح عليه والتجاوب معه ليصل إلى درجة كبيرة من الانبهار به، فتسيطر على الأنا مشاعر الدونية ويتم من خلالها رؤية الواقع الثقافي للآخر في حالة من التفوق المطلق على الثقافة الوطنية الأصيلة ، أين نجد بأن هوية الذات في هذه الحالة أصبحت تعاني نقصا تحاول تعويضه بولعها بالآخر وأسلوب حياته ترسم له صورة مشرقة ومتخيلة عما تروجه وسائل الإعلام من تطورات وابتكارات ، استطاع الآخر الوصول إليها وتأثير الآخر للأنا وصل مرحلة التقليد الأعمى لكل ما هو أجنبي فنتج عنه الابتعاد عن الهوية ومتعلقاتها باعتبارها صارت قديمة بالية لا تصلح لمتطلبات العصر الجديد تبرز لنا شخصية عبد النور ذلك الشاب الأشقر الطويل ذو العينين الخضراوين اللتين " كانتا سببا في مناداة الأقارب وسكان الحي له بلكنتهم المحلية " السبنيولي" بمعنى الاسباني لعلها كانت نبوءتهم الأولى له بأن يختار اسبانيا ملاذا له"[2].

كان لهذا اللقب أثرا عميقا على ذاته تقبله له إنما هو اعتراف ضمني بالآخر وسيطرة وهم الانبهار به على وجدانه، ساعده في ذلك أنه منذ طفولته مختلفا عن أقرانه جسدته الساردة في قولها " فخلق عنيدا منذ صغره تمرد على الدخول إلى الكُتّاب...كما تمرد أيضا على الأسرة وعلى الأرض الأم واختار الهجرة الى اسبانيا"[3].

[1]-محمود راتب الحلاق، نحن والآخر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1997، ص37..
[2]-الرواية "قلب الاسباني"، ص11.
[3]-الرواية، ص46.

ذات رفضت منذ الصغر الخضوع إلى الموروث الثقافي والاجتماعي المفروض عليها وأعلنت تمردها عليه وعدم تقبله محاولة من خلال ذلك الدفاع عن نفسها، لأن محيطها لم يسمح لها بتحقيق طموحاتها لتظل فكرة الرغبة في الهجرة إلى اسبانيا ملاذ عبد النور الآمن لإثبات وجوده ولعل ما شجعه في ذلك مشاركة جيله له بالعبارة "هنا ما كان والو" وسيطرتها على وعيهم.

يظهر لنا جليا من خلال المقطع السردي أن جميلة طلباوي اعتمدت على الدارجة " العامية " ووظفتها في روايتها وهي أرادت بذلك ايصال الحالة الحسية والشعورية للشخصيات، بلغة مألوفة للقارئ وجعله يعيشها ويتأثر ويتقاسم مع هذه الشخصيات أحداث الرواية وكأنه جزءا منها وهو ما استشعرناه من خلال قراءتنا للنص السردي " قلب الاسباني" ، استغل عبد النور أول فرصة له لتحقيق حلم طالما سكن بداخله بفضل مساعدة شقيقه أيوب له ظهر لنا عندما " تنازل له عن المبلغ المالي الذي جمعه ليساعده ذلك في تحقيق حلمه والسفر إلى اسبانيا"[1].

لتمهد لأهم محطة لعبد النور بلقائه بصوفيا في قولها " صحيح أنه كان محظوظا بتعرفه على صوفيا التي أُعجبت به وأحاطته برعايتها من أول يوم التقى فيه بها صدفة في أحد مطاعم مدريد"[2]. تلك المرأة الاسبانية الشقراء النحيلة التي جسدت دور الآخر بالنسبة له منحته الفرصة ليبرز ذاته، كما كان يتمنى ليصل معها إلى حالة من التماهي والانصهار أحدثت شرخا في هويته جعلته يتخلى عن أهله ووالدته التي كانت متعلقة به برز في قول الساردة " أم العيد التي جنّ جنونها بعد أن انقطعت أخبار ابنها المتمرد عن كل شيء"[3].

[1]-ا قلب الإسباني ، ص46.
[2]-الرواية، ص48.
[3]-الرواية، ص74.

علاقتها أخذت طابع الصداقة كبذرة لها لتزداد عمقا بسبب لقاءاتها المتكررة أين وجدت فيه صوفيا "جزيرة سلام كانت تفتقدها، فارتمت في حضنه ومن ليلتها صارت جزءا من حياتها"[1].

زاد تعلق عبد النور بالآخر خاصة بعد أن أودعت في جسده قلبا اسبانيا" مع أول نبضاته أعاد إليه انتكاسة الأندلس"[2].

أرادت الساردة من خلال هذه العبارة استعادة أنقاض حضارة لا تزال آثارها تقبع في الذاكرة مستحضرة القلب الإسباني المزروع بين ضلوعه يكرر التاريخ بشكل آخر والأندلس تغرس ههنا في أوربا بدمائها العربية"[3] ، غصة فقد الأندلس وبقاء معالمها شاهدة على عمق التاريخ فتح بصيص الأمل أمام الساردة لاسترجاعها يوما ما مثلته بشكل جمالي في شخصية عبد النور الاسباني.

أرادت بذلك أن تربط الماضي بالحاضر وتجسد في تحقيق ذلك الحلم ليظهر لنا بصورة ضمنية في قولها " أكثر ما يدهش صوفيا هو تجاوب جسم عبد النور مع القلب الاسباني الذي زرع له...أما أكثر ما يذهل عبد النور هو ذلك الانصهار بينه وبين صوفيا كل الفوارق بينهما ذابت فوارق الدين والعرق"[4].

ترى الكاتبة أن عودة الأندلس بدمائها العربية لا يتحقق إلا بتقبل الحضارة الغربية للحضارة العربية وتعايشها، يُميط النص سردية اللثام عن شخصية أخرى جسدت ذلك الذوبان في الآخر وهي "المهدي" الشاب الذي ورث عن عمه عبد النور لون عينيه الخضراوتين، فكانتا عنوانا ليحمل هو الآخر لقب " السبنيولي" هذا اللقب الذي أربك هويته وولد بداخله الرغبة في الهجرة إلى اسبانيا الارتباك ذاته عاشه بعد أن تعلّق بالعالم الأزرق المفتوح على عوالم كثيرة مجهولة المصدر، سيطر على وجدانه وجعله يندمج مع

[1]- قلب الإسباني ، ص48.
[2]-الرواية، ص50.
[3]-الرواية، ص162.
[4]-الرواية، ص54.

الآخر دون وعي منه مهددا بذلك كيانه الذي لم يجد جدارا متينا يستند عليه ليكون بمثابة الشراع أو طوق النجاة الذي يحمي ذاته من أي تشوه قد يصيبها، والده أيوب كان من المفروض أن يكون حصنه لمواجهة تلك التحديات، يوفر له سبل التفاعل مع الآخر دون أن يؤثر ذلك على هويته لكن غيابه كان بارزا تستحضره الساردة كشرخ كبير أصاب العلاقة بينهما التي من المفروض أن تكون مبنية على الثقة والحب والاحتواء وذلك في قولها "غيابه بحجة الجري وراء لقمة العيش والاهتمام بمشاكل أخيه المغترب وأخواته البنات ومشاكل الجارة حورية هو السبب في هذه الفجوة الواقعة بينه وبين ابنه"[1].

ليمتد عمق ذلك الشرخ ويخلق نوعا من الانفصال داخل الأسرة الواحدة، أرادت الكاتبة أن تغوص بنا بين سطور النص السردي لتكشف أن التمزق الذي تعيشه الأسرة على صغرها"[2] ، ظهر جليا بعد انفجار زوجة أيوب وإعلانها صراحة بأن " اعتماده الكلي عليها في تربية ابنهما"[3].

مُحمّلة أيوب سبب ذلك كونه تخلى عن مسؤولياته كل هذا التمزق جعل المهدي يفتح الباب بمصراعيه نحو الآخر دون رقابة أو قيود فيكون هذا الآخر سببا في أن تخسر ذاته خصوصيتها وتضمحل أناه نتيجة للتبعية المطلقة له دون وعي منها.

ويظهر ذلك جليا أمام عيني أيوب الذي تمتلكه الحيرة عند زيارة عبد زهرة ذلك الشاب العراقي لابنه باعتباره صديقا له " أخفى امتعاضه وهو يحدق في سروال رفيقه كان من الجينز أيضا بدا ممزقا بشكل غريب وفي أماكن كثيرة قميصه بدا ضيقا يعصر عضلاته عصرا"[4].

ربما ذلك جعله يركز لأول مرة في لباس ابنه الذي أبرزته الساردة في قولها:" فأمعن النظر في سروال الجينز الذي كان يلبسه المهدي ممزقا من ناحية الركبتين لاحظ

[1]- قلب الإسباني ، ص64.
[2]-الرواية، ص64.
[3]-الرواية، ص64.
[4]-الرواية، ص63.

أيضا السلسلة التي كانت تتدلى من رقبته"[1]، علامات دلت على اختراق الآخر لأنا المهدي وتأثيره على هويته ليجد بأن ذات ابنه أخذت تحلق خارج سرب النسق الثقافي الجمعي الذي ألفه وتمسك به فكيف أثر عبد زهرة العراقي على ابنه وجعله يقلده حتى في طريقة لباسه؟ هواجس كثيرة جعلت أيوب يتأكد " أن تلك الشاشة الزرقاء التي أدمنها ابنه لا تختلف عن البحر في شيء هي أيضا لها القدرة على إغراق الإنسان وسحبه إلى القاع أو قذفه إلى الضفة الأخرى"[2].

أيوب رغم كل ذلك لم يدرك عمق الفجوة التي وقع فيها ابنه ضرورة تدخله لوقف النزيف الذي شوه هوية المهدي، وأرجعت الساردة سبب ذلك إلى جهله بعوالم ابنه وتقوقعه في ماضيه وتمسكه بموروث ثقافي واجتماعي أصبحا باليين بالنسبة لمهدي مبرزة ذلك في قولها " اكتفى أيوب بهذا الحديث ليدرك عمق الفجوة بين عالمه وعالم ابنه الذي كبر في عقله منه"[3].

الأمر الذي أحدث صعوبة في التواصل بينهما فقد بدا بالنسبة له " شخصا نضجت الأسئلة في رأسه الصغير وبدأت تستطيل وتخرج إلى لغته التي غزتها مصطلحات أربكت أيوب وأشعرته بالندم لأنه لم يواصل دراسته فيكون في مستوى أن يجيب ابنه عن تساؤلاته"[4].

عدم اهتمام أيوب بعوالم ابنه ومشاركته إياها وتجاهله لاحتياجاته الذاتية جعلت المهدي يقطع صلته الحسية بوالده ، ويولد لديه إحساسا بعدم الشعور بالأمان والاستقرار وخلق بداخله فراغا كبيرا خاصة أنه لم يكن لديه إخوة يشاركونه تطلعاته، والده الذي لم يلحظ حجم الفراغ الذي تركه هذا الأمر على نفسه فلم يحاول تعويضه مما جعل المهدي يبحث له عن بديل يبرز ذلك بين كلمات النص السردي في قول الكاتبة " ودون شعور

[1]- قلب الإسباني ، ص63.
[2]-الرواية، ص63.
[3]-الرواية، ص67.
[4]-الرواية، ص68.

منها وجد المهدي نفسه في بحث دائم عن أخ يضحي لأجله عبر وسائل التواصل الاجتماعي وبالفعل وجد شبابا من جهات مختلفة من العالم، من ديانات ومذاهب مختلفة اتخذهم إخوة وراح يضحي من أجلهم ويسعد لسعادتهم لكن هذا لم يشفع لوالده إهماله له"[1].

ربما أرادت الساردة من خلال هذه الكلمات توضيح خطورة وسائل التواصل الاجتماعي التي تمثل الآخر المجهول الذي يتحكم في الأنا ويسيطر عليها، إذا لم تجد من يوجهها ويساندها وذلك عبر شخصية المهدي التي أصبحت تطلعاته للمستقبل متصلة بالآخر الذي ينظر إليه نظرة إعجاب وانبهار، انعزال المهدي عن عائلته وبيئته وتماهيه في عالمه الخاص غيّر اهتماماته نجد مثلا " القيثارة بالنسبة للمهدي لم تكن مجرد آلة موسيقية بل صديقة يفرغ لها هموم قلبه الصغير...وفي حالات كثيرة يتصورها أبا يسند رأسه إلى كتفها"[2].

وكذلك نفوره من الدراسة التي في نظره لا تضمن له وظيفة بعد تخرجه " فكل معارفه من المتخرجين بتفوق من الجامعة لم يفلحوا في الحصول على الوظيفة"[3]، عكس " الغناء سيحقق له المال والجاه وسيختصر عليه الكثير من العناء لضمان مستقبله"[4].

أرادت الساردة ابرزا تأثير عالمه الخاص به على طريقة تفكيره رغم محاولة والده تشجيعه على الدراسة، وذلك في قولها "وجهة نظر كان من الصعب إقناع المهدي بها وهو الذي أصبح يتطلع للحصول على المال والخروج من زقاق عمي سالم أصبح يحلم بالنجومية في عالم العزف والغناء، وكلما ناداه أصحابه وهو يعزف القيثار صحّيت" يا السبنيولي" ، كلما حرّكوا في أعماقه شوقا للالتحاق بعمه عبد النور في اسبانيا"[5].

[1]- قلب الإسباني ، ص69.
[2]-الرواية، ص70.
[3]-الرواية، ص71.
[4]-الرواية، ص71.
[5]-الرواية، ص72.

وفي الختام لخصت لنا الساردة حالة الارتباك التي قذفت بالمهدي بين مخالب القلق والحيرة وجعلته "يشي باغتراب كان يعيشه ذلك الشاب اليافع بحثا عن شيء مفقود في محيطه لم يجده إلا في عالمه الأزرق عبر الانترنت"[1].

الشخصية الأخرى التي تماهت كذلك في الآخر وانصهرت فيه هي وهيبة الشابة الجميلة والمثقفة عرفت بشخصيتها المستقلة ، والحالة التي تطلع دوما لتحقيق رغباتها المكبوتة تنظر إلى الآخر نظرة الانبهار لأنه في نظرها يستطيع فعل كل ما يرغب فيه دون قيود مفروضة عليه، أرادت الساردة إبراز ذلك الصوت الداخلي للأنا الذي يتطلع للخروج غير أنه يصطدم بالبيئة التي يعيش فيها تجعله يقبع في اللا وعي ليصبح مجرد حلم يعود إليه كلما رغب في الهروب من واقعه، مجسدة ذلك في وهيبة لتبليغه لنا في قولها " لكن في قراره نفسها تمنت لو مارست رياضة كالسباحة أو التنس لكن بيئتها الاجتماعية لم تساعدها لتحقيق أحلامها التي كانت تعيشها في الأفلام، فترى نفسها بطلة الفيلم وتحلم ببيئة تختلف عن زقاق عمي سالم"[2].

كل ذلك في نظر الساردة جعل وهيبة ناقمة على وضعها الذي تعيشه في الزقاق خاصة أنها لم تحض بوظيفة بعد تخرجها منذ أربع سنوات، لتنقلنا إلى موضوع مهم وتثير اهتمامنا إلى إعادة النظر في طريقة الحصول على وظيفة هذا الأمر الذي يقف حاجزا أمام المتخرجين مسلطة الضوء على حالة التهميش التي يعاني منها الشباب المثقف بالصحراء وخاصة المرأة ونظرة المجتمع الصحراوي لها، والذي يركز على جمالها بدلا من كفاءتها، فيبرز لنا بوضوح في قولها "وهيبة غادرت مبكرا في رحلة بحث عن وظيفة بدأتها منذ أربع سنوات، منذ تخرجها وكلما قابلت مدير مؤسسة إلا وتحرك الذئب الجائع فيه، لقد باتت تعتقد بأن جمالها لعنة...كل شيء من حولها بدا مدعاة للإحباط واليأس ولم تعد ترى من حل سوى الخروج من دائرتها الضيقة من زقاق عمي سالم، بل

[1]- قلب الإسباني ، ص70.

[2]-الرواية، ص116.

من مدينة بشار"[1]، وكذلك قولها " كانت تتعرض للمساومات وللتحرش فتعود بعد كل فرصة عمل منهارة" [2].

حالة الإحباط التي كانت تعيشها وهيبة لم تجد لها مخرجا مناسبا سوى شاشة الحاسوب جسدته الساردة ككيان معنوي أصبح بديلا لهذا الجيل للخروج من حالة الاغتراب التي يعاني منها حتى وهو في بيئته.

كان له دورا بارزا في تواصلها مع الآخر الذي يمثل فهد رجل الأعمال السعودي الذي تعرفت عليه في الجزائر العاصمة أيام كانت طالبة، دلالة الساردة في اختيارها للعاصمة كمكان للقاء يوحي بالانفتاح الذي يشهده الشمال مقارنة بالجنوب الذي جسدته في مدينة بشار، مكان وجدت من خلاله وهيبة نوعا من التحرر من القيود المفروضة عليها في بيئتها ومتنفسا لها سمح لها من التواصل مع الآخر بحرية فكانت ترى بأن التفاعل معه والاحتكاك به ينقلها إلى درجة من التقدم والتطور التي تفتقر إليها تفتح لها آفاقا أوسع.

ذهنية فهد المتحررة ومزاجه غير المستقر وامتلاكه للمال عبرت عنه الساردة في قولها " فهو صاحب مال وله أن يغير النساء كما يغير ملابسه"[3]، أرادت من خلال ذلك أن تنقل لنا عينة من الرجال الذين يجعلون المال وسيلة لكسر جميع الحواجز وإشباع شهواتهم، وهيبة لم تدرك نوايا فهد كانت ترى فيه ذلك الآخر الذي يعوضها عن الحرمان العاطفي، ويخرجها من حالة الارتباك التي تعاني منها عبرت عنه الساردة في قولها " كلما عبر لها عن حبه لها بكلمات تقطر شهدا وعسلا إلا وتحولت إلى فراشة تحلق في الفضاء"[4].

[1]- قلب الإسباني ، ص105.
[2]-الرواية، ص109.
[3]-الرواية، ص121.
[4]-الرواية، ص116-117.

كانت وهيبة سعيدة جدا بعلاقتها بالآخر لدرجة التماهي والانصهار فيه دون وعي منها، ظهر ذلك بين سطور النص السردي في هذا المقطع " مع مرور الوقت وجدت وهيبة نفسها قد أصبحت ترى الدنيا من خلال فهد الذي أقنعها بضرورة أن تقبل الزواج منه، هو الآخر لم يعد يطيق العيش بدونها"[1].

أصبحت وهيبة كثيرة التردد على العاصمة بحجة إجراء مسابقات التوظيف كل ذلك لأن ذاتها أصبحت لا تطيق فراق الآخر الذي تعودت عليه، ورسخ في ذهنها حلم السفر إلى دبي بعد أن تكون زوجة ثانية له، " فهد متزوج يقيم في المملكة العربية السعودية وهو بحاجة لزوجة خلال إقامته في الجزائر" [2]، هكذا واجهت وهيبة عائلتها وقابلت رفضا قاطعا من طرفهم أبرزته الساردة في قولها " الصدمة جعلت حورية تمسك وهيبة من شعرها راغبة في اقتلاعه من جذوره، وهي تردد زواج مسيار زواج مسيار ياكلبة"[3].

المتمعن في هذا المقطع يكتشف أن الروائية جميلة طلباوي أرادت تسليط الضوء على تعامل مجتمعنا مع الجانب العاطفي للمرأة بنوع التحفظ لخصوصية الدين الإسلامي الذي يرفض أي علاقة خارج الزواج لحمايتها، وهو ما يجب أن يكون وفيه إشارة لتحلل بعض الفئات في المجتمع الجزائري وهمهم البحث عن المال والغواية ولا يهمهم مصدرها

والتماهي الذي اخترق وهيبة وتأثيره الشديد عليها أعمى بصيرتها، فلم تعر أي اهتماما لكلام عائلتها، جعلها ذلك تتجاوز العرف الثقافي وسلطته المفروضة على المجتمع، لتغوص الكاتبة داخل أعماقها وتكشف لنا نظرة وهيبة للأمر كما لو كان حرية شخصية تحررها من حالة اليأس والتهميش الذي كانت تعاني منهما، تلك الحرية الزائفة التي يتوهم أصحابها بتحقيق ذواتهم فتهوي بهم في مستنقع التمزق وازدواج الشخصية .

[1]- قلب الإسباني ، ص109.
[2]-الرواية، ص110.
[3]-الرواية، ص110.

تزوجت وهيبة من فهد زواجا عرفيا دون علم أهلها بسبب تشجيع صديقتها التي غرست في ذهنها ضرورة الحصول على المال لتأمين مستقبلها، أبرزته الساردة في قولها " أقنعتها بإمكانية الزواج من فهد دون موافقة الأهل لأنهم في النهاية عندما يرونها سعيدة تملك المال والجاه سيتقربون منها[1].

بذلك تكون وهيبة عرضت هويتها للتشويه وانسلخت ذاتها دون وعي منها لنستحضر هنا قول صادق النيهوم في كتابه (محنة ثقافة مزورة صوت الناس أم صوت الفقهاء) الذي يرفض التقليد الأعمى ويدعو الى ضرورة التمسك بالقيم في قوله " إنما نملك ثقافة خاصة بنا تجعلنا نتميز عن غيرنا أو نفوقهم ونحن أولى بهاته الثقافة الطاغية لذلك لا نصلح للتبعية لم نعرف كيف نستغل ذلك"[2].

3-حالة التمسك بالأنا:

تتجه هذه الحالة إلى الرؤية المتوازنة للأنا اتجاه الآخر إذ لا هي تميل الى تمجيده والاعتزاز به، كما ترفضه وتنفصل عنه إنما كان وسطا بين هذا وذاك "...فترسم صورة الآخر بروح موضوعية يسودها التسامح لذلك لن تنحرف أو تبالغ في تعاملها مع الذات أو الآخر فيتم تقديم الصورة عبر رؤية واعية تعتمد وتصغي لنبض الإنسان وبذلك لا تستطيع أن تنظر للآخر باعتباره ندا للذات، فينتفي الهوس والانبهار و الاستعارة من الآخر كما ينتفي الرهاب الذي ينفي الآخر، ويكاد يصل الأمر حد افتراض الموت الرمزي".

تحاول جميلة طلباوي في روايتها كسر تلك الصورة النمطية لنظرة الأنا اتجاه الآخر ، والتي تتجسد في حالة الصراع والاستبداد الذي يترتب عنه اتساع الفجوة بينهما لتصور ذلك التقبل الذي ساد علاقتهما مع بعض، تجلى في بعض الشخصيات أبرزها أيوب عرف بشخصيته المتقبلة للواقع الذي تعيشه رغم صعوبته في الكثير من الأحيان

[1]- قلب الإسباني ، ص117.

[2]-صادق النيهوم، محنة ثقافة مزورة صوت الناس أم صوت الفقهاء، ط2، 1997، دار الرياض للكتاب والنشر.

عكس شقيقة عبد النور المعروف بتمرده هذه الفوارق التي بينهما أبانت عنها الكاتبة في قولها " عبد النور " السبنيولي" لم يذق طعم الفلقة بأن يضربه الطالب وهو مدرس القرآن على قدمه عكسه تماما ذاق أيوب طعم الفلقة فكان يصرخ من الألم"[1].

لم يكن يرفض الذهاب الى الكُتّاب كما يرفض طلب والدته (أم العيد) التي رسخت في ذهنه عبارة " الله يجعل خويا سلطان وأنا وزيره".

لتصبح هذه العبارة بمثابة صك الغفران بالنسبة لأيوب حتى ينال رضى والدته فرغم أنه يكبر عبد النور بأربع سنوات، إلا أنه يعتقد أن شقيقه أفضل منه.

لم تكن أم العيد تدرك أن كلماتها تلك ستحفر عمقا داخليا في ذاكرة أيوب وتترك أثرها على وعيه حتى عندما يكبر وتساهم بشكل بارز في بنائه لصورة ذهنية مشوهة عند ذاته مغلفة بقيم التضحية وتفضيل الآخر على الذات.

أراد النص في هذا المقطع السردي أن يلفت انتباهنا إلى موضوع غاية في الأهمية ألا وهو تأثير الأفكار التي تغرسها الأسرة والمجتمع في الفرد ونظرته لذاته وطريقة تفاعله مع الآخر، أيوب الذي يعد الطفل الأكبر في العائلة " فاطمأنت بأن صار له ظهر يسنده في هذه الحياة والظهر لا يكون إلا ذكرا من صلبه"[2].

كبر أيوب وتحمل مسؤولية عائلته بعد وفاة والده لم ينس كلام والدته التي " ذكرته يومها بأنه أصبح رجل البيت بعد وفاة والده رحمه الله، وبأنه عليه أن يفكر جديا في عمل لإعالة الأسرة، لا بد لعبد النور الأخ الأصغر أن يواصل تعليمه فلا يعقل أن تجتمع لديه الإعاقة مع الفشل"[3].

قيامه بذلك كان له دور بارز في تأثر شخصيته بكلمات والدته وبموروث ثقافي من جهة أخرى بكل ما يحمله من سلبيات وإيجابيات جعله ذلك متمسكا بأناه التي تدعوه

[1]- قلب الإسباني ، ص117.
[2]-الرواية، ص158.
[3]-الرواية، ص158.

في كل مرة إلى التضحية فيبرز ذلك بشكل واضح في مسيرته ويظهر في الكثير من محطات حياته لنقف عليها في هذه الدراسة.

لعل أول موقف يبرز ذلك التأثر هو توقفه عن إكمال دراسته "...ألم أيوب وقد وقف على حلمه بإكمال تعليمه ينهار أمامه، عزاؤه كان أن ينجح عبد النور" الله يجعل خويا سلطان وأنا وزيره"[1].

شخصية أيوب انعكست كذلك على تفاعله مع بيئته فلم ينس فضل الخادمة طامو التي أرضعته في صغره حتى يشفى، ظهر في النص "مال حصل عليه من أول أجر تقاضاه بعد أن التحق بوظيفته كممرض، ففكر في الخادمة طامو واتجه إلى بيتها لزيارتها"[2].

تمسكه بزوجته مريامة التي أحبها "رغم أن زواجهما كان تقليديا"[3].

أراد النص أن ينبه إلى أن الزواج الذي فرضه الدين الإسلامي "خارج إطار العلاقات المحرمة" يؤدي دوره ويحقق المحبة والمودة بين الزوجين وعدم التخلي عنها أو الزواج عليها لأنها لم تنجب له سوى المهدي، برز في المقطع السردي "رفض أيوب فكرة الزواج بأخرى لإنجاب المزيد من الأولاد وصارت مريامة دنياه كلها"[4].

خاصة أن والدته (أم العيد) كانت متقبلة لذلك الوضع "كانت في كل مناسبة تجدد رضاها عن كنتها مريامة"[5].

لم ينس أيوب فضل زوجته في الكثير من المواقف التي لم تتخلّ فيها عنه خاصة مع عبد النور الذي " تنازل له عن المبلغ المالي الذي جمعه ليساعده في تحقيق حلمه والسفر إلى اسبانيا"[6]، عوض شراء بيت مستقل له، إلى جانب سفره إلى اسبانيا من أجل

[1]- قلب الإسباني ، ص158.
[2]-الرواية، ص16.
[3]-الرواية، ص92.
[4]-الرواية، ص93.
[5]-الرواية، ص93.
[6]-الرواية، ص90.

تفقده والاطمئنان عليه فهو يسكن مع صوفيا في شقتها بعد أن أنقذت حياته تقبل عبد النور لصوفيا قابلة تقبل أيوب لها ليتساءل مرة " أي معجزة هذه التي حصلت له وأي زوجة ملائكية الروح وهبتها له السماء"[1].

لم ينس أيوب عند زيارته لأخيه أن يقوم بجولة في مدريد لإعجابه الشديد بجمالها وسحرها الجذاب " بدأ بمتحف ديل برادو، قصر مدريد الملكي، دار الأوبيرا ومعالم أخرى مبهرة في مدينة معشوقة السياح القاصدين لأوربا"[2].

أيوب في تلك اللحظة " لم يعرف حينها هل يغيظ أخاه عبد النور على نعمة تواجده في هذه البلاد أم يشفق عليه من هذه العزلة الاختيارية"[3].

أراد النص السردي من خلال ذلك أن يبرز لنا أن لكل مجتمع كيانه الثقافي والحضاري الذي يميزه وأن تقبل الأنا للآخر بشرط أن لا يذوب فيه ، والاحتكاك به يظهر مدى الاختلاف الثقافي بين الحضارات ويؤثر عليهما معا ليعطي لنا ذلك التكامل في صورته الجمالية.

كما تقبل أيوب (صوفيا واسبانيا) الذين يمثلا الآخر الغربي تقبل كذلك عبد زهرة الشاب العراقي صديق مهدي الذي مثل الآخر العربي فاستضافه في بيته لاشتراكهما في الدين واللغة، حوارهما معا واكتشافه لسبب مجيئه إلى الجزائر من أجل البحث عن خاله أستاذ الفلسفة "كانت المفاجأة بالنسبة لأيوب كون هذا الأستاذ درسه وتجمعه به ذكريات جميلة"[4].

امتعاض أيوب من عبد زهرة لا يعني رفضه له بل كان سببا تأثر كل من المهدي وعبد زهرة الذين يمثلان الأنا العربي بالآخر الذي يمثل الثقافة العربية التي جعلتهما

[1]- قلب الإسباني ، ص94.
[2]-الرواية، ص95.
[3]-الرواية، ص96.
[4]-الرواية، ص97.

ينصهران فيها عن طريق الانترنت وقد برز ذلك في لباسهما لسروال الجينز الممزق والسلاسل والخواتم.

أما حورية تلك الشابة الحوراء الجميلة التي تملك قلبا محبا ترسخ في هويتها الذاتية ضرورة تعلم المرأة لمختلف الحرف المنزلية حتى تتمكن من رعاية شؤون بيتها إذا تزوجت وتستطيع تحمل مسؤولياتها، إذ تحرص الأم على تعليم بناتها منذ الصغر مستحضرة ذلك من الأفكار والتصورات المستمدة من الموروث، وهو ما قامت به والدتها زهور " فقد ربّت بنتيها بعد وفاة زوجها أحسن تربية فكلتاهما تحسن الخياطة والتطريز وصناعة الحلوى وتتفننان في إعداد الأطباق التقليدية والعصرية"[1].

لم يمنع ذلك حورية من الاهتمام بالدراسة وتفوقها فيها لكنها اختصرت مشوارها الدراسي والتحقت بمعهد تكوين المعلمين لتصبح معلمة، وظيفتها لم تؤثر عليها في تغيراتها، فتمسكت بكل المبادئ التي ترسخت لديها إذ وجدت الفرق واضحا بين جيلها وبين الجيل الجديد الذي تدرسه ، لأنه أخذ يتماهي في ثقافة الآخر يبرز ذلك في المقطع الروائي " عادت بها الذاكرة إلى العام الماضي عندما لا حظت بأن التلميذة المشاغبة سهيلة تضع طلاء الأظافر وتستعمل أحمر الشفاه"[2].

حورية كذلك بقيت متمسكة بالأنا التي دعتها إلى إنتظار عبد النور طول هذه المدة رغم سفره إلى اسبانيا، ربما تأثير العادات والأعراف يجعل المرأة تعلق حياتها على رجل بمجرد كلمة تقال لها وهذا ما حدث لحورية، فأم العيد اقترحت على عبد النور الزواج بها " لكن خالتي أم العيد لفرط حماسها وإعجابها بحورية فهمت صمته على أنه رضا فسارعت إلى الإفصاح عن رغبتها لحورية" [3].

لتكتشف في النهاية أن عبد النور قد تزوج في اسبانيا وأنه كان يعتبرها أختا له.

---

[1]- قلب الإسباني ، ص98.

[2]-الرواية، ص106-107.

[3]-الرواية، ص108.

" تمسك حورية بالذات لم يمنعها من تقبل الآخر في بعض الجوانب نجد ذلك في تقبلها لعلاقة وهيبة مع فهد المستمدة من ثقافة الغرب (الآخر) ، إذا انتبهت إلى أن وهيبة سبق أن ذكرت لها قصة تعرفها على رجل أعمال سعودي... يومها لم تفهم حورية بالموضوع كثيرا اعتبرته مجرد محاولة من وهيبة للهروب من واقعها المؤلم"[1].

تطور العلاقة بين فهد ووهيبة وصلت إلى طلب الزواج قابله رفض حورية ووالدتها لذلك، لم يكن سبب الرفض هو فهد بحد ذاته "يمثل الآخر بالنسبة لهم" بل سببه نوع الزواج الذي أراده (زواج المسيار).

4-تجليات التثاقف:

تخضع علاقة الأنا والآخر لعملية التثاقف المتمثلة في مجموعة من الظواهر الناجمة عن اتصال مستمر ومباشر بين مجموعتين من الأفراد ذوي ثقافات مختلفة، ينتج عنه تغييرات في المناوالات الثقافية لإحدى المجموعتين أو لكليهما، فينتج عن هذا التفاعل تكوين صورة واضحة وصريحة عن شعب من الشعوب عند معايشته والاقتراب منه والإندماج فيه، " لنصير هنا أمام مسألة تلاقي الحضارات أو الثقافات التي من طبيعتها التغيير من البنية الداخلية والخارجية للمجتمعات والمساس بالهويات الثقافية للأمتين اللتين حصل بينهما اتصال، سواء كان عبر التجارة أم الاستعمار أم الهجرة فإن الأخذ والعطاء بينهما أمر موجود ومثبت بين الطرفين"[2].

وقد تجلى لنا ذلك التثاقف في سطور رواية قلب الاسباني فنجد بأن الأنا غيرت نمط عيشها بسبب اطلاعها على ثقافة الآخر عن طريق عدة وسائل لعل أبرزها وسائل التواصل، التي ساهمت بشكل كبير في ذلك خاصة أن كفة هذا الأخير هي المؤثرة والمسيطرة مما جعلها تتجاوب معه لتمارس مجموعة من السلوكيات المادية والمعتقدات المعنوية، وصلت إلى ذاتها ووجدانها أدى ذلك إلى تغييرها لمظهرها ونمط لباسها وعيشها

[1]-ا قلب الإسباني ، ص109.

[2]-الرواية، ص90.

الذي أصبح يتماشى مع متطلبات العصر الجديد إلى جانب تغيير أسلوب تفكيرها وقد مس ذلك بشكل أكبر فئة الشباب.

إضافة إلى ذلك نجد أن سفر عبد النور إلى اسبانيا ساهم بشكل كبير في انفتاحه على ثقافة الآخر خاصة بعد تعرفه على صوفيا ثم زواجه منها، ليتفاعلا معا ويتبادلا ثقافتهما وميولاتهما " كانا يشتركان في عشق البايلا وفي عشق تفاصيل صغيرة في الحياة"[1].

فأحب عبد النور البايلا هذا الأكل الاسباني كما تعلم الرقص الذي اختلف تماما عن الرقص الصحراوي إذ صار يراقص صوفيا على أنغام خوليو اجليسياس " طوق خصرها وراح يراقصها بحركات لم تعقه رجله العرجاء، وصوت خوليو يفيض عليهما موجة سحر سكرت الأرواح المحبة"[2].

كذلك إتقانه للغة الاسبانية فلم تكن بالنسبة له وسيلة للتواصل فقط بل جعلته يتعرف على الآخر ليتجاور ويتحاور معه، مما أدى إلى معرفة ثقافته وبالتالي تبادلهما لمختلف المواضيع " استفاد كثيرا من تعلمه للغة الاسبانية مهدت له الطريق للوصول إلى عقول وقلوب الاسبان "[3].

تعرفه على الآخر جعله ينقل معارفه إليه خاصة أنه درس الصيدلة في الجزائر وكان من المتفوقين فيها، ومن بين المعجبين به فرانسيسكو صديق صوفيا " صار يلتقي به في المؤتمرات الطبية المتعلقة بالصيدلة فأدرك مدى تفوقه وتمكنه في مجال اختصاصه"[4].

بسبب انبهاره بعبد النور " دعاه لزيارة صيدليته ووضعه تحت الاختبار ليتأكد بأن وجود هذا العربي إلى جانبه في المخبر سيحدث نقلة نوعية لمشروعه المتعلق بمجال

[1]- قلب الإسباني ، ص54.
[2]-الرواية، ص50-51.
[3]-الرواية، ص194.
[4]-الرواية، ص194.

الأدوية"[1]، ليبرز لنا النص أن للتثاقف إيجابيات كثيرة خاصة في المجال العلمي المفيد للبشرية جمعاء، أما أبرز تجليات التثاقف في الرواية ظهرت في بقاء ثقافة الأندلس في اسبانيا شاهدة على عمق حضارتها ورقيّها، ولعل ما يؤكد ذلك تلك المعالم الساحرة التي لا تزال إلى يومنا هذا تستقطب السياح من كل بلدان العالم " فلتلك التماثيل أصوات لا يدركها السمع تتوغل عميقا في الروح، الشوارع ما زالت تحتفظ بملامح التاريخ"[2].

فكيف لحضارة ضربت بجذورها وتركت إرثا ثقافيا متنوعا أن تزول سريعا وقد كان لها روابط تاريخية وإنسانية وثقافية مشتركة، لا تزال آثار تفاعلاتها مستمرة؟ فمثلا أيوب عند زيارته لاسبانيا صادف عازف الكمان في أنغامه حضرت معالم الأندلس وأثواب غرناطة التي لا تريد هذه الأرض أن تنزعها عنها فهي مورد سياحي يدر عليها بالخيرات"[3].

فلا يمكن للآخر أن ينفي فضلها عليه فمبانيها وموسيقاها يدران عليه بالفائدة،

ربما الأندلس هي الحضارة البارزة التي تجلى فيها التثاقف في أسمى صوره إذ تعايش في كنفها ثقافات مختلفة تحت سقف واحد، قابله ذلك تطور وازدهار للأسف لم يدم طويلا غير أن عبق التاريخ أعاد للأنا الأمجاد التي لا يطويها الزمن لنجد أن سطور الرواية عبر شخوصها ركزت على ذلك، وأرادت إحياء تلك الحضارة من جديد فنجد الطيب المغربي الذي سكن اسبانيا بسبب حبه للتاريخ جعله " يلتهم كتب التاريخ التهاما ويظل يتحدث بفخر عن الأندلس وكيف أنها كانت منارة للعلم في أوربا التي كانت أيامها تغرق في الجهل والتخلف"[4].

[1]- قلب الإسباني ، ص194.
[2]-الرواية، ص78.
[3]-الرواية، ص79.
[4]-الرواية، ص161.

صداقته مع عبد النور جعلته هو الآخر يتأثر به ويغوص هو الآخر في عمق التاريخ بشكل آخر والأندلس تغرس هاهنا في أوربا بدمائها العربية"[1].

أراد النص السردي من خلال ذلك أن يوضح بأن الأندلس لا تزال تسكن وجدان الأنا وغصة فقدها لا يمكن تجاوزها إلا بعودتها يوما إلى أحضان الإسلام لتعيد رسم معالم التثاقف في أجمل صورة.

1-التصادم مع الآخر والبحث عن الهوية الضائعة:

بعد كل هذا التقديم والتأكيد على أن لا ذات بدون آخر، ولا آخر بدون ذات فالعلاقة بينهما تتغير بتغير الأحداث والمتمعن في النص السردي لرواية قلب الإسباني يجد ذلك فمثلا عبد النور كانت علاقته بالآخر مبنية على الاحترام والتبادل المعرفي لتصل إلى درجة التماهي مثلما حدث مع صوفيا كل ذلك لم يستمر طويلا، فمجيء علال قلب كل الموازين "قد يكون لوصول علال إلى إسبانيا تأثير على التغيير الذي حدث لعبد النور الذي لاحظته صوفيا"[2].

علال ذلك الشاب المنبوذ من طرف سكان حي الدبدابة "كان فزاعة الحي حتى أنهم سموه علال الطوروس، لأن غضبه كان كاسحا مثل ثور هائج، عرف أيضا بإدمانه على الكحول وسهراته مع الحشاشين"[3]. كانت ذاته متمردة عن هويتها إلى جانب مرض والده وظروفه الصعبة الأمر الذي جعله يفكر في الهجرة إلى اسبانيا لعله بذلك يخرج من حالة الضياع والتهميش التي عاني منها في بيئته كما قد يجد عملا يستطيع من خلاله علاج والده حتى يعوض الأنا عن كل ما فقدته هكذا رسم طريقة منذ هجرته إلى اسبانيا وانبهاره بها إذ "لا يكف الحديث عن فتنتها وجمالها"[4]. كلما اتصل به أحد من أهله ومعارفه كل ذلك لم يغير من طبيعة ذاته المتمردة.

---

[1]- قلب الإسباني ، ص162.

[2]-الرواية، ص127.

[3]-الرواية، ص136-137.

[4]-الرواية، ص131.

رابعا: أزمة الهوية والبحث عن الذات:

تطرح رواية "قلب الإسباني" أسئلة الهوية المطموسة في عالم يوجد به تفاعل بين الأنا والآخر، لتلقي الرواية أضواءً كاشفة عن أزمة الهوية والبحث عن الذات في ظل التفاعل بينهما، لتغوص السطور السردية بطرح قضية بعض الشخوص بفقدانهم الوعي بذواتهم لتكشف لنا هذه الأزمة مرحلة التصادم مع الآخر فكيف تجلى لنا هذا التصادم؟ وهل يدرك شخوص الرواية وعيهم بذواتهم؟

1-التصادم مع الآخر والبحث عن الهوية الضائعة:

التي مثلت دور الأنا السلبية اتجاه بيئتها كما أن اتصالها بالآخر وتفاعلها معه لم يغير من طبيعتها، فبقيت تعاني من مشاعر الدونية خاصة بعد وفاة والده " أحس علال الطوروس بأن حياته أصبحت بلا جدوى، لم يعد من معنى لكل ما يقوم به من عمل على حساب صحته"[1] .

كل ذلك جعله يتورط مع جماعة مجهولة فغايته هي الحصول على المال دون عناء وكأنه بذلك يريد الانتقام من الظروف الصحية التي عاشها حتى على حساب نفسه، أحست صوفيا بتغير عبد النور وبدأت تشك في تصرفاته منذ قدوم علال إلى اسبانيا ولقاءاتهما المتكررة معا، عبد النور كان يرى في علال صورة لذلك الحنين والاشتياق للأهل والأرض، فذاته تفاعلت وانصهرت مع الآخر إلا أن تأثير الهوية كان أقوى جعلته لا يتخلى عن علال ساعده مرة بإعطائه مبلغا من المال، وكذلك عندما علم بتورطه مع الجماعة المجهولة أخذ منه سلاحه حتى يخلصه منهم، ليجد نفسه متهما بالإرهاب دون أن يدري "بدأوا بإطلاق النار إشاعة كفيلة بتشويه عبد النور الصيدلي مفادها بأنه يصنع متفجرات بدلا من الأدوية"[2].

[1]- قلب الإسباني ، ص175.

[2]-الرواية، ص179.

شكوك صوفيا تحولت إلى تصادم بينها وبين عبد النور لحظة اكتشاف السلاح الذي خبأه في الخزانة " ترجّى صوفيا أن تعطيه فرصة ليشرح لها الموقف لكنها أخبرته بأن معلومات وصلتها منذ أيام عن تورطه في صنع قنابل بدلا من الأدوية"[1].

نقطة فاصلة أحدثت شرخا كبيرا جعلت صوفيا تقطع علاقتها بعبد النور الذي أحبته كثيرا دون إعطائه فرصة للدفاع عن ذاته وتبرير موقفه، لتكسر بذلك تلك الصورة المثالية التي كان يرسمها كل واحد منهما عن الآخر فتقوم بطرده من بيتها.

لم يتحمل عبد النور كل ذلك الألم فيصاب جسمه المتهالك بمرض السكري، ولعل أكثر ما أوجع قلبه المزروع هو مقتل صديقه علال " مجموعة من الإرهابيين في اشتباك مع البوليس الاسباني"[2]، إضافة إلى اعتقاله للتحقيق معه بسبب تقديم زوجته صوفيا لبلاغ ضده والتي لم يستوعب تخليها عنه، ليجد نفسه في السجن بتهمة لم يرتكبها أين شعرت ذاته بالضياع والوحدة.

أما أيوب فكان تصادمه مختلفا مع الآخر الذي تجسد هذه المرة في صورة المهدي وصديقه عبد زهرة العراقي الذي جاء لزيارته، فقد امتعض من هيئتهما ولباسهما لسروال الجينز الممزق من جهة الركبتين وفي أماكن متفرقة، كما أن طريقة تفكيرهما ونقاشهما كانت بعيدة عن فهمه، فقد استعملا فيها مصطلحات جديدة عليه عجز عن استيعابها الأمر الذي جعله يصدم بالفرق الشاسع الذي بينهم، ويتفاجأ بواقع المهدي الذي كان لا يأبه به " ويدرك عمق الفجوة بين عالمه وعالم ابنه الذي كبر في غفلة منه"[3] .

فيعطي المهدي بذلك مثالا حيا هو وعبد زهرة عن الآخر الذي أصبحا يمثلانه عبر ذواتهما بعد أن سيطر على تفكيرهما دون أي مقاومة، وانصهرا في ثقافته التي روج لها بصورة جذابة عن طريق الانترنت ذلك الفضاء المفتوح على عوالم كثيرة ومجموعة

[1]- قلب الإسباني ، ص182.
[2]-الرواية، ص187.
[3]-الرواية، ص67.

تتجلى بشكل واضح في المهدي الذي كان " يغوص طوال الوقت في هاتفه الجوال وهو يضع السماعة في أذنه لا وقت له للدخول في حديث مع والده أو أحد أقربائه، لا شيء من حوله يثير فضوله"[1].

رغم تصادم أيوب مع المهدي ورفضه للوضع الذي آل إليه إلا أنه لم يقم بأي خطوة لإصلاح علاقتهما ، خاصة أن ذات المهدي كانت تشعر بالتشتت والضياع ولا تجد أجوبة للكثير من التساؤلات من طرف عائلته ليبحث عنها في عالمه الأزرق ، غفلة أيوب جعلت صدمته أشد هذه المرة برزت عند سماعه لصراخ المهدي مع صديقه عبد زهرة عبر الهاتف وهو يكلمه " لنتفق الآن لا يجب أن نتحدث عما له علاقة بالدين لا بمذهبي ولا بمذهبك"[2]، شعر أيوب بضرورة تدخله فالأمر يبدو مربكا لولده، لكنه أصيب بصدمة كبيرة عندما انتبه إلى هيئة المهدي وشكل لباسه الذي يوحي بالفرق الكبير بين جيليهما، كما أن كل ما في غرفته بدا غريبا " بالنسبة له الوجوه في الملصقات، المجسمات الموضوعة في الزوايا، كذلك السلاسل والخواتم، ثلاث هواتف جوالة"[3].

أحس أيوب في تلك اللحظة بعمق الفجوة التي بينهما فلا وجود روابط مشتركة، وكأن كل واحد فيهما يعيش في عالم مختلف عن الآخر، شعور بالاغتراب والضياع ملأ ذاته، فابنه الوحيد الذي أحبه أكثر من أي شخص وأعطاه اسم والده صار الآن غريبا عنه كيف لا وهو لا يدخل غرفته إلا نادرا ولا يجتمع معه إلا عند مواعيد الأكل؟ فهل يحق له أن يسأله الآن عن الشخص الذي كان يتكلم معه وما هو سبب صراخه؟

رغم نفي هذا السؤال على ذات أيوب إلا أنه باح به فكانت إجابة المهدي بأنه كان يتكلم مع صديقه عبد زهرة الذي زارهم ذات يوم أما صراخه بسبب اختلاف مذهبيهما الدينيين.

---

[1]- قلب الإسباني ، ص70.

[2]-الرواية، ص164.

[3]-الرواية، ص165.

عدم فهم أيوب لكلام ابنه أشعره بعجزه الكبير أمامه أحس " بأنه قزم صغير، مفلس فارغ من القدرة على احتوائه ومصاحبته والولوج إلى عوالمه، حتى إذا ما احتاج إليه يوما مد له يده ليعتقه وينتشله من الغرق"[1]، المهدي هو الآخر بدا في حيرة من أمره وكأنه كان ينتظر من والده أن يقول شيئا فقد أصبح يعلم سبب ذلك الشجار الذي كشف عن تصادمه مع عبد زهرة العراقي ذو المذهب الشيعي.

رغم انصهار المهدي في ثقافة الآخر إلا أنه لا يزال متمسكا بانتمائه الديني الذي دافع عنه في قوله " إلا عائشة سأضطر لإنهاء الحديث معك" [2]، لكن ذلك لا يعني أن المهدي قد يبقى متمسكا بهويته فقد لا يصمد طويلا بسبب هذا العالم الأزرق إذا لم يجد من يسنده ، أما وهيبة فتجسدت صدمتها مع الآخر (فهد) بعد زواجهما زواجا مسيارا، رغم رفض عائلتها المتمسكة بموروثها لذلك، إذ سافرت إلى دبي حتى تنعم بحياة جميلة وتحقق لذاتها ما عجزت عنه في بيئتها التي كانت تراها سببا في حالة التهميش التي كانت تعاني منها، لكنها اصطدمت بفهد الذي قام بخداعها فنظرته لها كانت لقضاء بعض الوقت معها بسبب جمالها وليس من أجل الزواج " فعادت وحيدة جريحة من دبي، خسرت نفسها والذي ظنته حبيبا كشف عن وجهه الذئب بمجرد أن غادرت الوطن"[3].

رغم مساعدة فيصل أخو فهد لوهيبة للعودة إلى أرض الوطن إلا أن ذاتها كانت تشعر بالضياع ، فلا يمكنها أن تعود إلى عائلتها التي لم تسمع كلامها ولا إلى بيئتها بحي الدبدابة التي تحكمها العادات والتقاليد وترفض الزواج المسيار، فما بالك بفعلها لذلك دون علم أهلها وهروبها إلى دبي هذا الأمر جعلها تفكر في الذهاب إلى صديقتها فلة، للأسف كانت ذات وهيبة تظن بأن فلة التي طالما شجعتها على الزواج من فهد رغم رفض أهلها، ستقف معها لكن ها هي الآن تتخلى عنها وترفض استقبالها في بيتها

[1]- قلب الإسباني ، ص168-169.
[2]-الرواية، ص164.
[3]-الرواية، ص121.

"ترجتها وهيبة أن تبقى كخادمة عندها تكنس وتطبخ المهم أن تضمن لها سقفا يحميها من ذئاب الخارج"[1].

إلا أنها سخرت منها وقامت بطردها لتغادر وهيبة إلى المجهول مثقلة بهمومها.

2-الوعي بالذات:

تمر الأنا بمراحل متنوعة في علاقتها مع الآخر تختلف باختلاف نظرتهما لبعض ومع استمرارهما معا تنضج تلك العلاقة لتصل إلى مرحلة الوعي فيتجلى لنا ذلك في رواية قلب الاسباني عبر شخوصها نذكر منهم

عبد النور: برز وعيه في الرغبة في العودة إلى وطنه بعد شعوره بالاغتراب داخل السجن خاصة أنه أصبح يعاني من الضياع بعد تخلي صوفيا عنه ، إلى جانب مرضه الذي أزّم وضعه أكثر لولا مساعدة صديقه الاسباني فرانسيسكو الذي أثبت براءته فأعاد إليه الأمل مجددا.

كان أول ما فكر به بعد خروجه من السجن هو الرجوع إلى الوطن والى حضن والدته ليكتشف بأن ذاته بحاجة إلى من يحتويها بكل ما فيها من ضعف، استرجع كذلك عمق الترابط الأسري الذي عاشه سابقا مع عائلته، فها هو الآن يشتاق إليه مرة أخرى بعد أن فقده مدة 10سنوات.

ربما ما حدث له باسبانيا جعله يعي أن الآخر مهما انصهر فيه وتفاعل معه إلا أن نظرته للأنا تبقى نظرة مشوهة تحوم حولها الشكوك وعدم الثقة، فقد يتخلى عنها في أي لحظة أو حتى يلحق بها الضرر متناسيا كل ما كان بينهما من تفاعل.

كما أدرك بأن الهوية الذاتية يتجسد معناها بوضوح في مرحلة ضعف الأنا أكثر منها في تفوقها ونجاحها، إذ تشعر بعمق تأثيرها على الوجدان فتشتاق إلى الوطن والبيئة والعائلة.

[1]- قلب الإسباني ، ص122.

أما أيوب فقد برز وعيه لحظة إدراكه لضعفه وعدم قدرته على احتواء المهدي بسبب جهله لعوالمه، الأمر الذي كان سببا في حجم الاغتراب الذي كان بينهما تجسد ذلك بشكل واضح عندما طلب من المهدي " أن يعزف له على آلة القيثار في تلك الساعة المتأخرة بعد منتصف الليل"[1]، فأراد أيوب بذلك أن يعوض ابنه عن حالة الفقد التي كان يعيشها لتكتمل الصورة بدخول مريامة وجلوسها قرب أيوب الذي " لم يتمكن من إخفاء نشوته بجمال اللحظة ودفئها"[2]، أي استشعر حلاوة أن يحتضن عائلته التي كانت بأمسّ الحاجة إلى هذا الاحتواء، كما أدرك أهمية أن يشارك ابنه عوالمه ليذوب ذلك الحاجز الذي كان بينهما ويستطيع بذلك أن يوفر له الأمان الذي طالما كان يبحث عنه.

بينما وعي وهيبة ظهر بعد أن تركها فهد لتدرك متأخرة بأن أسرتها كانت محقة فقد عادت " حمامة جريحة مكتوبة بجمر تجربة محترقة بنار الندم، متمنية لو عادت إلى زقاق عمي سالم لتقبل ترابه وتبكي بين يدي حورية ووالدتها"[3].

أدركت عندها أن أسرتها مهما ضغطت عليها إنما ذلك لصالحها فأحيانا لا يمكننا التمرد على كل العادات والخروج عن الموروث الذي يحمي هويتنا من الضياع

[1]- قلب الإسباني ، ص169.
[2]-الرواية، ص170.
[3]-الرواية، ص156.

خاتمة

من خلال ما تطرقنا إليه نستخلص أن ظاهرة المثاقفة (التثاقف) ظلت أبلغ وسيلة للتقارب والتواصل وتبادل المعارف والخبرات وعاملا قويا من عوامل تطور وازدهار الحضارات، ومن خلال دراسة وتحليل النص الروائي المختار توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

- تتميز الأمم والشعوب بخصائص وسمات قد تكون ثابتة، فتشكل جزءا من الهوية ومكونا من مكوناتها وقد تكون الصفة أو الصورة مجرد حادثة عابرة .
- الوعي بالذات والآخر من الوسائل الحضارية والعقلانية.
- هناك عالمين مختلفين عالم الغرب عالم الحرية عالم الواقع العالم الذي يمارس فيه الفرد ذكرا كان أم أنثى حريته بناء على قناعته ، وعالم الشرق عالم الكبت والحرمان الذي يتقوقع الإنسان فيه على ذاته يعيش معها في مونولوج متواصل لا ينتهي.
- أهمية الموروث الثقافي في بناء الهوية الوطنية .
- انبهار الأنا بالآخر وما حققه أو ما وصل إليه من تقدم وازدهار.
- إيمان الآخر بقيمة التسامح تحت شعار الحرية.
- مدى ضرورة العالم في تقدم الشعوب.
- الاختلاف سنة بين البشر .
- الحوار من وسائل التعبير الحضاري وضرورة للتواصل بين الشعوب .
- تشكل سؤال الهوية الثقافية بكل ما يحويه من مضامين هاجسا لسؤال العلاقة بين الشرق والغرب، حيث يبدو سؤال الهوية والبحث عنها مرتبطا بحضور الآخر العربي.
- لا يخلو الوصف العام للمرأة الغربية من مقارنات ظاهرة أو ضمنية مع المرأة العربية فالاحتكام إلى المرجعية يشكل صورة ومنهجا للمقارنة.

- إن انشغال الروائيين في استحضار صورة الآخر في عالمهم إقحاما، فيكون الآخر آنذاك محض ثقافة يوصلها الروائي إلى القارئ، قصد إبراز ثقافته الموضوعية في هذا الجانب أو قصد ترك بصمة في مثل هذا النوع من الروايات.

وبعد فإن هذه الدراسة لا تدعي الإحاطة بكافة جوانب هذا الموضوع، لكنها سعت قدر الإمكان لإضاءة بعض المحاور التي تكشف مدى تأثير المتغيرات على هذه الجدلية.

ملحق

ملخص الرواية

نبذة عن الكاتبة

أهم أعمالها

صورة لغلاف الرواية

نبذة عن حياة الكاتبة:

الاسم الكامل : جميلة طلباوي من مواليد ولاية بشار بالجزائر تخصصها الجامعي: مهندسة دولة في الميكانيك –تركيب حراري- جامعة بشار بالجزائر.

التخصص الأدبي: قاصة وشاعرة

المهنة: منشطة اذاعية بالإذاعة الجزائرية محطة بشار الجهوية منذ 1991 م .

المؤلفات:

- ✓ شظايا: مجموعة شعرية – منشورات التبيين –الجزائر عام 2000.
- ✓ وردة الرمال: رواية قصيرة–منشورات التبيين–الجزائر عام 2003.
- ✓ شاء القدر: رواية قصيرة– منشورات التبيين–الجزائر–عام 2006.
- ✓ أوجاع الذاكرة: رواية قصيرة– منشورات دار الثقافة بشار، الجزائر عام 2008.
- ✓ أوجاع الذاكرة:(ضمت أوجاع الذاكرة وقصص أخرى) صدرت عن اتحاد الكتاب العرب دمشق–سوريا– ديسمبر 2008.
- ✓ كمنجات المنعطف البارد: مجموعة قصصية صدرت عن دار فيسيرا للنشر، عام 2012.
- ✓ الخابية: رواية صدرت عن المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، أكتوبر 2014.
- ✓ وداي الحناء رواية صدرت عن دار ميم للنشر، عام 2017.
- ✓ قلب الاسباني صدرت عن دار الوطن اليوم، عام 2018.

نشرت العديد من الأشعار والقصص القصيرة في الصحافة الوطنية والعربية.

- ❖ الجمهورية الأسبوعية، الخبر، المساء.
- ❖ مجلة العنوان الدولي سوريا.
- ❖ المواقع الالكترونية أصوات الشمال، مركز النور، القصة العربية.

الأعمال التلفزيونية:

- على ضفاف وادي قير، برنامج تعريفي يعنى بالموروث الثقافي الشعبي لدائرة العبادلة عام 2001.

- المولد النبوي الشريف ببني عباس عرف هذا البرنامج بعادات أهالي بني عباس في إحياء المولد 2000.
- عضو لجنة تحكيم في المهرجان الوطني للفيلم القصير تاغيت الذهبي نوفمبر 20007.
- تنشيط برامج بين الثانويات.

الجوائز:

- جائزة أحسن قصة نالتها في مسابقة أدبية نظمتها جمعية أحمد رضا حوحو بشار عام 1991.
- جائزة أحسن منشطة إذاعية نالتها في مسابقة نظمتها إذاعة تبسة المحلية عام 1996.
- الجائزة الثانية في مسابقة نظمها اتحاد الكتاب الجزائريين فرع قالمة على هامش ملتقى الكتابة النسوية ماي 2011.
- الجائزة الثالثة في شعر المسابقة التي نظمها المهرجان الوطني للشعر النسوي المنظم بمدينة قسنطينة أكتوبر 2011.
- جائزة يمينة مشاكرة على روايتها (قلب الإسباني). 2018 م

ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية حول شاب جزائري (عبد النور) يقرر الهجرة إلى ما وراء البحر تحديدا إلى اسبانيا، وتنطلق القصة من لحظة سقوط عبد النور أمام أخيه أيوب وارتطامه بطاولة زجاجية، مرت في هذه اللحظة ذكريات أيوب مع أخيه وعائلتهما في قرية القنادسة المليئة بالأفراح تارة والأحزان تارة أخرى.

وبعد هجرة عبد النور إلى اسبانيا تحديدا إلى مدريد التي كانت قديما الأندلس، فيمكن أن يكون هذا الاختيار صدفة أو حنينا إلى القديم، فهو لم يكن يعلم أن انهزام

العرب وخسارتهم الأندلس يمكن أن يحصل له نفس المصير، وليبدأ في الاستقرار هناك يقرر العمل في صيدلية، وهو المكان الذي تعرف فيه على صونيا تلك الفتاة الشقراء الذكية المحبوبة، بهذه الصفات انجذب إليها عبد النور ليكشف من خلالها عالم الغرب، فهي شخصية متحررة لا تؤمن بالعادات والتقاليد، عكس فتيات قريته (القنادسة)، فخاض عبد النور علاقة حب مع صوفيا لتكتمل بعدها بالزواج وإنجابهم لطفل (رشيد)، فاعتبرها الشريكة المثالية خصوصا بعد وقوفها معه أثناء إصابته بأزمة قلبية، لأنها حاولت جاهدة الحصول على متبرع، لتتمكن في الأخير من إنقاذ حياته، إلا أن صوفيا تقرر ترك عبد النور بعدما شكت في عمله مع منظمة إرهابية، لتعتقله الشرطة بعد تبليغ زوجته وأثناء التحقيق معه تسقط جميع التهم الموجهة إليه، وتظهر الحقيقة ويقرر العودة إلى وطنه فهو المأوى الحاضن الدائم له، والرواية تؤكد حقيقة تاريخية لا ينبغي أن ينساها الإنسان العربي وهي أننا أعداء وغير مؤتمنين ونحمل في جيناتنا كل الصفات السلبية ، وعليه فلا ينبغي أن ينخدع الواحد منا بكلامهم المعسول عنا ومداهنتنا ، لأنه في نظرهم جميعا إلا القلة القليلة أننا مشروعا إرهابيا نذبح ونقتل أبناءهم ونساءهم وشتى أطياف مجتمعهم ، وينبغي علينا أن نتذكر دائما المثال الشعبي " خوك خوك لا يغرك صاحبك " خاصة إذا كان هذا الصاحب غربيا، وعلينا استحضار مثال شعبي آخر القائل " العربي عربي ولو كان الكولولان بن داود " .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش

ثانيا : المصادر

1- جميلة طلباوي: قلب الإسباني،

ثالثا :المراجع

2- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، بيروت لبنان، 1999.

3- أبو الحسن بن فارس بن زكريا: مقياس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1971.

4- إحسان هندي، المثاقفة وحوار الثقافات، يومية الثورة السياسية مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا،عدد2009/01/28.

5- أحمد رياض، من التثاقف إلى عمليات المثاقفة، مجلة آفاق، 1ديسمبر 2017.

6- إميل بديع يعقوب وميشيل عاصي، المعجم المفصل في اللغة و الأدب، مج1،ط1، دار العلم للملايين، بيروت.دت .

7- جلال مجاهد، ثقافة المجتمعات من التثاقف إلى التثقيف إلى ثقافة العولمة،2017/01/13 العولمة وتطورات العالم المعاصر (حوار التمدن) مقال.

8- خليل السعداني، مساءلة مفهوم الثقافة.

9- خليل عماد، مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، كولالمبور، ماليزيا، 2001.

10- دوني كوتش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: قاسم المقداد، دار الكتاب العربي، 2003.

11- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار المعلمين، القاهرة، مصر، 1994، ص51، مادة ثقف.

12- سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1987.

13- سعيد فهد النويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009.

14- شعيب خليفي، التذويت والوعي بالآخر، مجلة المتأهل عدد خاص ببن بطوطة، وزارة الشؤون المغربية، العدد60، يناير2000.

15- صادق النيهوم، محنة ثقافة مزورة صوت الناس أم صوت الفقهاء، ط2، 1997، دار الرياض للكتاب والنشر.

16- صلاح السروري: المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمة في نظرية الأدب المقار

17- عبد الله ابو هند: صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية، مجلة دمشق، 5/4،دمشق، 2008.

18- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2005.

19- عماد خطيب، مدونة فن النقد لتدريب طلبة الدكتوراه، محاضرات النقد الثقافي الأسبوع الثامن 2015.

20- عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر، الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم القاهرة، مصر، ط1، 2005.

21- عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) دمشق، اتحاد كتاب العرب، 2004، ص109.

22- لؤي خليل، الأدب والموقف من الآخر(حي بن يقظان) لابن طفيل وروبنسون كروز لدانيال ديقو نموذجا، مجلة جامعة دمشق، سوريا، مج30، ع2014،2،1.

23- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 2013.

24- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة/فضل الحرفية في الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر، ط4، 2000 .

25- محمد عابد الجابري، الإسلام والغرب الأنا والآخر سلسلة فكر ونقد الشبكة العربية للأبحاث والنشر الكتاب الأول، 2009.

26- محمد مورد: الإسلام وأمريكا حوارات مواجهة، البيان للنشر، ط1، 2001.

27- محمد نور الدين طابة: الغرب في المتخيل العربي، منشورات دائرة الثقافة والإسلام ط1، 1996.

28- محمود راتب الحلاق، نحن والآخر، منشورات اتحاد كتاب العربي، دمشق، 1997.

29- محمود سمير منير: العولمة وعالم بلا هوية،ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 2000،

30- المعجم الوسط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.

31- مهدي صابر عبيد: جماليات التشكيل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.

32- نجم عبد الله كاظم: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، ط1، دار الفارابي بيروت، لبنان،2013.

33- نظرية الثقافة: مجموعة من المؤلفين، تر: د.علي سيد الصاوي، مر: أ.د. الفاروق زكي يونس، سلسلة عالم المعرفة، ع223، 1997.

المواقع الالكترونية :

34- الراجحي عبد الرحيم، مسألة التثاقف، صفحة1، الفهرس41-50، https://www.aljabriabed.ent .

35- صلاح السروري: المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمة في نظرية الأدب المقارن. http://m.ahewar.org/asp? Aid=186442

36- صلاح السروري، المثاقفة وسؤال الهوية، مساهمة في نظرية الأدب المقارن، 2009. أنظر: http//www.diwanalarab.com/spip.php?article1955

37- محمد باسل سليمان: المثاقفة تفاعلات واستعابات مقالة منشورة موقع0=sr132513=ard?asp.ongis.ahewar.www.

38- خليل السعداني: مساءلة الثقافة. www.aljabriabed.net

39- عبد الله أبوهيف: المثاقفة والمثاقفة المعكوسة في الاستشراق تأثير الثقافة العربية الإسلامية انموذجا

http:lloence-islam.net/article.ph ? id-article=6208long=ar.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان.

مقدمة..... أ-ب

الفصل الأول: التثاقف وحوار الأنا مع الآخر (المفاهيم والخلفيات)

أولا: الثقافة والتثاقف..... 3

1- الثقافة..... 3

1-1- لغة..... 3

1-2- اصطلاحا..... 4

2- التثاقف..... 5

أ: 2-1: لغة..... 5

2-2: اصطلاحا..... 6

ب: التثاقف الأشكال والحالات والأنواع..... 9

أولا: أشكال التثاقف..... 9

ثانيا: حالات التثاقف..... 10

ثالثا: أنواع التثاقف..... 12

ج: التثاقف القنوات والآليات..... 14

أولا: قنوات التثاقف..... 14

ثانيا: آليات التثاقف..... 15.

ثانيا: الأنا والآخر..... 17

1- الأنا..... 17

1-1- لغة..... 17

1-2- اصطلاحا..... 18

2- أنواع الأنا..... 19

3- الآخر..... 20

3-1- لغة..... 20

3-2- اصطلاحا 20
4- مواقف الأنا اتجاه الآخر 21
ثالثا: الحوار والهوية 23
1-مفهوم الحوار 23
2-مفهوم الهوية 24
3-علاقة الهوية بالآخر 24
الفصل الثاني: التفاعل الثقافي وحوار الأنا مع الآخر في رواية (قلب الإسباني)
التفاعل الثقافي وحوار الأنا مع الآخر في رواية (قلب الإسباني) 27
أولا: قراءة ثقافية 27
ثانيا: أثر الموروث الثقافي في إثبات الآخر 29
1- الأثر السلبي 30
2- الأثر الايجابي 33
ثالثا: حالات الاتصال وتجليات التثاقف بين الأنا والآخر (تأثر وتأثير)
1- حالة الانبهار بالآخر 36
2- حالة الذوبان وإلغاء الأنا 37
3- حالة التمسك بالأنا 47
4- تجليات لتثاقف 52
رابعا: أزمة الهوية والبحث عن الذات: 56
1-التصادم مع الآخر والبحث عن الهوية الضائعة: 56
2-الوعي الذات 60
خاتمة 63
ملحق 66
قائمة المراجع 70
فهرس الموضوعات 75

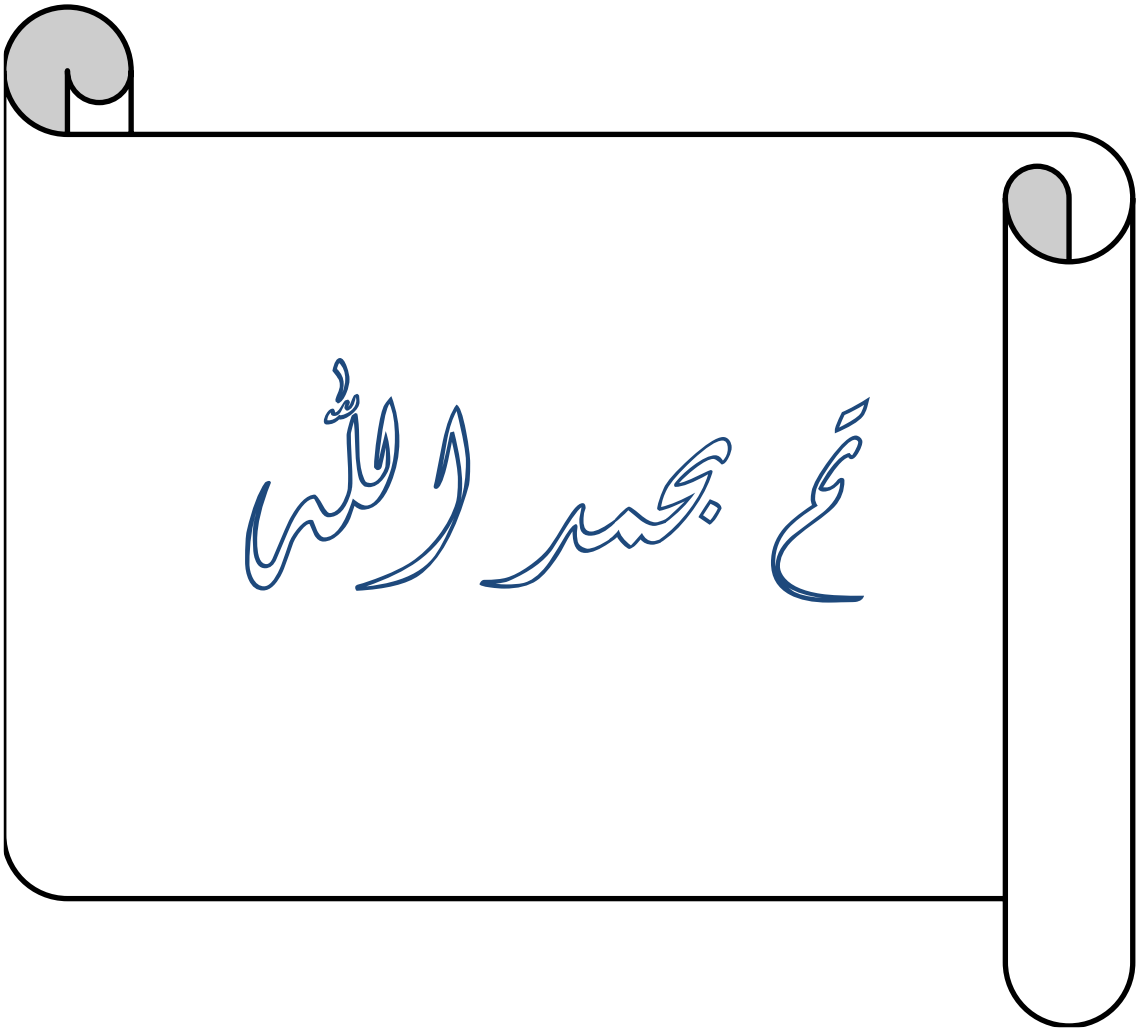
تم بحمد الله

ملخص:

تعد الرواية من اهم الفنون التي تطور تفاصيل الحياة لنختار نحن رواية "قلب الإسباني" للروائية "جميلة طلباوي" كنموذج لدراسة التثاقف وحوار الأنا مع الآخر، أرادت الروائية ايصال رسالة من خلال شخصيات روايتها حول أهمية التثاقف بين الحضارات وعلاقة الأنا مع الآخر المختلف عنه في الجنس أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرفي، ليتجلى لنا دور التثاقف في هذه العلاقة عبر لقاءات ومحطات تاريخية وثقافية عديدة فتحت المجال لتعدد الرؤى من انبهارية وعدائية وحضارية. "جميلة طلباوي" من خلال "قلب الإسباني" أبرزت ضرورة التعيش والحوار وجسدت ذلك بطريقة فكرية وحضارية بعيدة عن الصدام العنيف لتخلق ذلك التوافق بين الأنا والآخر في ظل تعايشهما معا.

الكلمات المفتاحية:

الرواية الجزائرية، التثاقف، الأنا والآخر، الاسباني ، قلب .

Summary:

The novel is one of the most important arts that develop the details of life. So we choose the novel "The Heart of the Spaniard" by "Jamila Talabawi" as a model for studying acculturation and the dialogue of the ego with the other, The novelist wanted to convey a message through the characters of her novel about the importance of acculturation between civilizations and the relationship of the ego with the other who is different from it in terms of gender, religious, intellectual or customary affiliation, So that the role of acculturation in this relationship becomes clear to us through numerous historical and cultural encounters and stations that opened the way for multiple visions of excitement, hostility and civilization "Jamila Talabawi " through "The Heart of the Spaniard" highlighted the necessity of coexistence and dialogue, and embodied that in an intellectual and civilized way away from violent clash, to create that compatibility between the ego and the other in the light of their coexistence.

key words:

Algerian novel, Acculturation, the Ego and the Other.